مقدمة

أن قصة الابن الضال التي قصها السيد المسيح تتضمن في داخلها قصة الانسانية كلها منذ الخلق والسقوط وحتي المجئ الثاني ورجوع اليهود ...فليس بغريب أن يُقال عنها انها أعظم قصة في العالم ... لقد اعتبر دارسوا الكتاب المقدس هذا المثل أو هذه القصة كتاب مقدس مصغر تحتوي علي طريقة تعامل الله معنا ومحبته لنا واحترامه لحريتنا وقبوله للخطاة وسعيه وراء كل إنسان ....لقد تتضمنت القصة قصة سقوط الإنسان متمثلة في الابن الضال وانفصاله عن الله واستحقاقه للموت " ابني هذا كان ميتاً " ....وبقاء الابن الأكبر في البيت الذي يمثل شعب اليهود الذي كان يعبد الله منذ أيام أبينا إبراهيم ولكن عن حرفية وذاتية ...سوف نري في القصة قبول الله للأمم (الابن الضال) واعتراض اليهود (الابن الأكبر) ...سوف نري دور الكهنة والخدام في المصالحة بين الخطاة وبين الله فهم الذين يوكلهم علي الأسرار ....سوف نري في هذه القصة العميقة قصة كل خاطئ وسبب السقوط وطرق الرجوع ...كما يعلمنا المثل بأن لا نيأس من خلاص أشر الخطاة لأنه طالما هناك حياة كان هنالك رجاء،...سوف نري في المثل أيضاً خطورة البر الذاتي وسهولة الضياع ونحن في بيت الآب وكيفية النجاة ..هذه القصة تعطي رجاءاً عظيماً لكل خاطئ في كل عصر يريد العودة والرجوع فها هوذا حضن الآب مفتوحاً وخدامه وكهنته واقفين مستعدين وماسكين بأيديهم ذلك الخاتم والحذاء والعجل السمين ... قصة الابن الضال تتضمن في متنها قصة اليهود وجحودهم ورفضهم للسيد المسيح وسعي الله ومحبته لخلاصهم ورجوعهم في نهاية الأيام فقد أنهي السيد المسيح المثل دون إخبارنا رد فعل الابن الأكبر هل رجع أم لا ؟! لأن الجواب سوف يكون في نهاية الأيام ...

قصة الابن الضال يستفيد منها كل إنسان في كل عصر سواء كان هذا الإنسان خاطئاً يأخذ درساً ورجاءاً أو باراً يتعلم العطف ومحبة رجوع الخطاة أو مسئولاً يتعلم من المثل مفهوم الحوار ..

قصة الابن الضال هي قصة اجتماعية نفسية يمكننا أن ندرس منها مرحلة هامة من مراحل حياتنا بل كل المراحل وكيفية التعامل في ومع كل مرحلة فالأب يمثل مرحلة المسئولية والأخ الأكبر يمثل مرحلة النضوج والرجولة والابن الأصغر يمثل مرحلة الشباب والمراهقة ...ينقصنا مرحلة الطفولة التي تتمثل في أحد الغلمان الذي سأله الأخ الأكبر " فدعا واحدا من الغلمان و ساله ما عسى ان يكون هذا (لو 15 : 26)

قصة الابن الضال مليئة بالرموز والأهداف فهيا بنا نتعرف علي كل هذا وأكثر من خلال كلمات السيد المسيح في المثل ...

شاهد المثل

(لو 15 : 11 – 32)...وقد انفرد القديس لوقا الإنجيلي بهذا المثل دون غيره

المثل والقراءات الكنسية

الأحد الثالث من الصوم المقدس

عنوان المثل

لقد تعارف علي تسمية هذا المثل باسم " الابن الضال " علي أساس أنه محور القصة ولقد كان الأولي تسميته " الأب المحب – محبة الآب " فهو محور القصة الحقيقية ...فهو صاحب المال والبيت وهو الذي أعطي للابن الأصغر نصيبه وهو أيضاً الذي قبله دون عتاب... والأب أيضاً هو الذي خرج إلي الابن الأكبر لكي يرده إلي صوابه بالحوار والاقناع . وأخيراً اعتاد البعض علي تسميته ب " الابن الشاطر " لتحفيز الخطاة علي التوبة ليصبحوا مثل هذا الابن الذي استطاع بتوبته الرجوع ثانية إلي حضن أبيه ودفء وسلام بيته الحقيقي . الابن الشاطر لأنه عرف كيف يستفيد من محبة أبيه ورحمته ، كما أنه ابن شاطر للباقته وذكائه ورجاحة تفكيره عند توبته ورجوعه

الظروف التي قُيل فيها المثل

(1) **الفريسيين والخطاة .**

لقد قال السيد المسيح هذا المثل بعد أن قال مثل الخروف الضال والدرهم المفقود . وقد كانت الأمثلة الثلاثة رداً علي تذمر الفريسيون علي قبول السيد المسيح للخطاة والعشارين وأكله معهم فقد جاء في بداية الإصحاح الخامس عشر الذي يحوي الثلاثة أمثلة ما يلي"و كان جميع العشارين و الخطاة يدنون منه ليسمعوه. فتذمر الفريسيون و الكتبة قائلين هذا يقبل خطاة و ياكل معهم " (لو 15 : 1، 2)...

ولقد أراد السيد المسيح بالأمثلة الثلاثة معاتبة الفريسيون والكتبة علي تذمرهم فقد كان الأولي بهم أن يفرحوا معه بعودة الابن الضال وإيجاد الدرهم المفقود ...أراد السيد المسيح بمثل الابن الضال

خاصة معاتبة توبيخ أولئك الكتبة والفريسيون علي إحساسهم بالبر الذاتي وتكبرهم علي الخطاة والعشارين وكان الأولي بهم أن يسعوا لخلاص أولئك الخطاة لا أن يتذمروا علي خلاصهم ...كما أراد السيد المسيح أن يعلم الجميع عامة والفريسيين والكتبة خاصة بأن حضنه مفتوح لكل الخطاة سواء الظاهرين كالخطاة والعشارين أو أولئك الذين يختبئون وراء برهم الذاتي كالكتبة والفريسيون بشرط أن يرجعوا ويتوبوا ...

لقد جاء السيد المسيح بمثل الابن الضال بعد مثلي الخروف الضال والدرهم المفقود لكي يوضح لنا أنه ليس مستعد فقط لقبول توبة الذين يسقطون دون إرادة أو وعي مثل الخروف الضال . وليس مستعد فقط لقبول توبة من يتسبب الآخرون في ضياعهم وسقوطهم مثل الدرهم المفقود بل أنه مستعد لقبول توبة الخاطئ الذي يسقط بكامل إرادته وحريته كما في مثل الابن الضال ...ولكن ... هناك فرق فالخروف الضال ذهب الراعي وبحث عنه والدرهم المفقود صاحبته قامت بالتفتيش عليه ، أما في مثل الابن الضال فقد بقي الأب منتظراً رجوع ابنه برغبته وارادته وكامل حريته كما سقط أيضاً بكامل حريته .

(2) اليهود والأمم.

لقد فهم دارسوا الكتاب القدس أن السيد المسيح يرمز بالابن الأكبر لليهود والأصغر للأمم وهذا ما أراده السيد من المثل وهو العمومية أو الشمولية وسوف نوضح ذلك عند شرح المثل وعقد المقارنات بين الابن الاكبر واليهود وكثرة التشابه بينهما من حيث البر الذاتي والحرفية ورفض الأمم وعدم الإيمان بالسيد المسيح وترك الباب مفتوحاً لقبولهم في نهاية الأيام ....

(3) الأبرار في أعين أنفسهم والخطاة .

ضرب السيد المسيح هذا المثل متحدثاً لكل خاطئ يريد الرجوع والتوبة في كل عصر كما لكل شخص يحس ببره الذاتي ...

أهداف المثل

(1) عدم الحكم علي أحد .

(2) التعرف علي نتائج الخطية .

(3) عدم اليأس .

(4) التعرف علي معالم طريق التوبة .

(5) أهم معوقات الرجوع .

(6) عوامل تشجيع للرجوع .

(7) التعامل بمحبة مع الخطاة .

(8) معرفة الفرق بين الكورة البعيدة وبيت الآب .

(9) إتساع القلب ومفهوم الحوار .

(10) كيفية التعامل من الآباء نحو الأبناء .

ولكي نفهم كل هذه الأهداف يجب علينا أولاً دراسة المثل وأحداثه : –

أحداث القصة (المثل)

(1) تمرد الابن الأصغر .

" انسان كان له ابنان. فقال اصغرهما لابيه يا ابي اعطني القسم الذي يصيبني من المال فقسم لهما معيشته.(ع 11 ، 12)

" انسان كان له ابنان "

السيد المسيح في كل مثل وعظة يريد أن يعلن لنا نحن البشر مفهوم العلاقة الذي يرغب في أن تكون بيننا وبينه أي بين الإنسان عامة والله المحب ....هذه العلاقة الذي يودها السيد المسيح هي علاقة الأب بأبنائه أو علاقة الأبناء بآبائهم ...

وهذا يتضح منذ خلقنا الله أبانا علي صورته ومثاله بل وتجسده وصيرورته إنساناً وذلك كله لكي يوضح لنا مدي محبته لنا كأب محب ، لذا بدأ المثل بهذه العبارة " إنسان كان له إبنان " .

الله كأب يقوم بكامل واجباته في أكمل صورة فهو يرعانا ويهيئ لنا البيت الذي نعيش فيه والحقل الذي نعمل به ولا يفرض علينا شيئاً بل بحترم حريتنا حتي لو كنا مخطئين ويتركنا نتحمل تبعية أخطائنا ونتعلم منها ولو رجعنا إليه بكامل حريتنا يقبلنا بل ويسعي ورائنا ويكون في انتظارنا ، كذلك وإن افترينا عليه كالابن الأكبر لا يعاتبنا ولا يوبخنا بل يحاورنا مريدا إفهامنا ...ونحن كأبناء يجب علينا أولاً أن نحب الله كأب محب وننفذ وصاياه وكلامه عن حب لا عن حرفية وعبودية ...ثانياً يجب علينا أيضاً أن نحب أخوتنا بل أخينا فالمثل مقتصر علي ابنان فقط لكي يوضح لنا وجوب الوحدة

بين البشر وعدم التفرقة بين أحد سواء بسبب اللون أو الجنس أو العرق فكلنا أبناء بل ابن لأب واحد وهو الله ... قديماً قال ملاخي النبي " اليس اب واحد لكلنا اليس اله واحد خلقنا فلم نغدر الرجل باخيه لتدنيس عهد ابائنا (ملا 2 : 10)..وفي سفر الأعمال يقول القديس بولس الرسول " فاذ نحن ذرية الله " (أع 17 : 29)

وهذا ما يريده السيد المسيح أن نفهمه من المثل لذا وجب علي الأبناء أن يحبوا بعضهم بعضاً ...يحبون الخير بعضهم لبعض ...يحبون رجوع الخطاة من أخوتهم لحضن أبيهم بل يسعوا لتحقيق هذا الغرض وهو التصالح بين أخوتهم الخطاة وأبيهم المحب .

هذا ما أراد السيد المسيح للفريسيين والكتبة أن يتعلموه وذلك أن الخطاة والعشارين بمثابة أخوة لهم يجب العطف والحنو عليهم والعمل علي خلاصهم والصلاة لإجلهم لا إدانتهم وعدم قبولهم ومنعهم عن المجئ والجلوس بجوار المسيح ...كما أنها رسالة لليهود عامة لكي يعلمهم بأن البشر جميعاً أخوة يهوداً كانوا أو أمماً وليس الله لليهود فقط وهذا ما أكده القديس بولس في رسالته إلي رومية " ام الله لليهود فقط اليس للامم ايضا بلى للامم ايضا (رو 3 : 29) ، " لانه لا فرق بين اليهودي و اليوناني لان ربا واحدا للجميع غنيا لجميع الذين يدعون به (رو 10 : 12)...كما يؤكد القديس بولس علي هذه الأخوة بين البشر جميعاً بعمل السيد المسيح والروح القدس في المعمودية حيث يقول " لاننا جميعنا بروح واحد ايضا اعتمدنا الى جسد واحد يهودا كنا ام يونانيين عبيدا ام احرارا و جميعنا سقينا روحا واحدا "(1كو 12 : 13)

" فقال اصغرهما لابيه"

الابن الأصغر يرمز للأمم لأنهم كانوا متأخرين في معرفتهم لله والإيمان به ، كما كانوا متهورين في الانفصال عن الله والابتعاد عنه بعيداً كما فعل الابن الأصغر في المثل ، وفي الارتباط بالشيطان وعبادته كما أرتبط الابن الأصغر بصاحب الخنازير ، والتشابه أيضاً في مدي ما وصلوا إليه من نجاسة كما حدث مع الابن الأصغر ورعايته للخنازير التي هي رمز للنجاسة في الكتاب المقدس كما في كل الأديان . كما يتشابه الابن الأصغر مع الأمم في التوبة والرجوع فهم الذين أتوا للمسيح تائبين معترفين " الى خاصته جاء و خاصته لم تقبله (يو 1 : 11)...وهذه الخاصة هي اليهود الذي يرمز لهم الابن الأكبر في المثل الذي خرج إليه الأب يطلب إليه ولم يسمع كلامه ...

إن كان الابن الأصغر يرمز للأمم فالنصيب الذي بددوه في عيش مسرف هو الناموس الطبيعي الذي أساءوا استخدامه، إذ يقول الرسول بولس عن الأمم: "لأنهم لما عرفوا الله لم يمجدوه أو يشكروه

كإله، بل حمقوا في أفكارهم، وأظلم قلبهم الغبي، وبينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء" (رو 1: 21–22). أما الابن الأكبر الذي يرمز لليهود فنال نصيبًا أعظم ليبدده، إذ لم يسئ استخدام الناموس الطبيعي فحسب، وإنما أيضًا الناموس الموسوي، فعوض أن يقوده للتوبة والاشتياق نحو المخلِّص للتمتع بالخلاص الأبدي سقط في الكبرياء وحسب نفسه أفضل من غيره فلم يدخل الملكوت ولا ترك الآخرين يدخلون .

يا تري ما هو السن الذي يقصده السيد المسيح في المثل من كلمة " الأصغر " ؟! من المؤكد أنه لم يكن في سن الطفولة وإلا لما تركه الأب لحريته ...كما أنه كما يتضح من القصة أنه لم يكن متزوجاً وكان في هذا العصر يتزوجون مبكراً ..يجوز ما يقصده السيد المسيح هو سن الشباب من السابعة عشر حتي العشرين فهذا السن هو سن المراهقة الذي يحس فيه الشاب بالرغبة في الحرية والاستقلال ولكن ليس عن وعي كامل . ففي هذا السن يحس الشاب بأن أبيه يضيق الخناق عليه الكنيسة التي هي بيت أبيه ثقيلة عليه تربطه بروتين وعادات يومية قد مل من تكرارها حسب رأيه ...كما أن الشباب في هذه المرحلة يرغب في الامتلاك ويحس بأنه لا يملك شيئاً فالجميع ما زالوا يتحكمون فيه فهناك مواعيد للنوم وعدم التأخير ومواعيد للعمل وربما الصحو مبكراً للمساعدة في العمل أو للاستذكار ...بل الملل من ذلك الأخ الكبير الذي لا يشعر بوجوده أو حبه أو وقوفه بجواره ...وفي بعض الأحيان يمكن للأخ الأكبر أن يعنفه علي بعض الأمور الذي لم يكن يقصدها ...كل ذلك وأكثر جعل الابن الأصغر يطلب من أبيه هذا الطلب الغريب :

" يا ابي اعطني القسم الذي يصيبني من المال "

حسب الشريعة اليهودية كان الابن الأصغر يأخذ ثلثاً من مال أبيه ويأخذ الأكبر ثلثي المال (تث 21 : 17)

نجد في كلام هذا الابن بعض من الوقاحة وعدم الأدب فهو قد اعتبر أبيه في عداد الأموات لذلك يسعي لكي يرثه وهو لا يحق له أن يرث إلا بعد أن يموت أباه ..كما أن حديثه خالي من عبارات الأدب فهو لم يبدأ كلامه بعبارة " من فضلك – بعد إذنك –أرجوك) ...هذا الابن قد تناسي أو تجاهل الوصية الأولي من وصايا الله العشر لشعبه إسرائيل "اكرم اباك و امك التي هي اول وصية بوعد (اف 6 : 2) ...قد تناسي أيضاً قول سليمان الحكيم " العين المستهزئة بابيها و المحتقرة اطاعة امها تقورها غربان الوادي و تاكلها فراخ النسر (ام 30 : 17) ...ليتنا نتعلم من السيد المسيح نفسه طاعة الوالدين واحترامهم ذاك الذي كُتب عنه " و كان خاضعا لهما (لو 2 : 51) ..بل ولأهمية

الوصية الأولي القائلة باكرام الوالدين فقد تكررت في ثلاثة أناجيل علي لسان السيد المسيح (مت 15 : 4) ، (مر 7 : 10) ، (لو 18 : 20)

كما أنه شر للإنسان أن يتطلع إلي هبات الله كدين له أو ملك وحق شرعي له الحق في طلبه والانفصال به عن الله كما فعل الابن الأصغر فرغم أنه لم يتعب للحصول علي نصيبه كما أن أبيه ما زال علي قيد الحياة وهو المالك الحقيقي لكل شئ ...

ليتنا نعي إننا لا نملك شئ وكل شئ ملك لأبينا السماوي ومعه وفي بيته نحن نملك كل شئ كأبناء ولكن إن إنفصلنا عنه سوف نخسر كل الأشياء حتي تلك التي كنا نظن أنها ملكاً لنا ...

قد عرفنا بعض من الأسباب التي يمكن أن تكون السبب في هذا الطلب من الابن الأصغر ولكن لدينا بعض الأسئلة الأخري التي نريد أن نجاوب عليها وهي :

+ لماذا لم يرفض الأب طلب ابنه ؟!

هذا السؤال سوف يعيدنا إلي سؤال عمره خمسة آلاف وخمسمائة سنة وهو لماذا وضع الله شجرة معرفة الخير والشر في وسط الجنة ؟! هل ليسقط بواسطتها أبوينا الأولين ؟! بالطبع لا . ولكن ...كان ذلك نوع من أنواع محبة الله للإنسان وتمييزه عن باقي الكائنات بالعقل والإرادة والمشيئة ولكن الإنسان استعمل حرية العمل المعطاة له للتعدي علي وصية الله والابتعاد عنه ...إن الله يريد إنساناً يحبه عن إرادة ورغبة لا عن سيطرة وقوة ...عن حب لا عن تغصب ...وهذا مع حدث مع الابن الأصغر الذي رغب بإرادته في الحصول علي نصيبه من المال فلم يمنعه منه علي الرغم من عدم شرعية ذلك فلا يمكن للابن أن يرث أبيه قبل موته ...والأب عندما رأي ابنه مصراً علي رغبته أراد له أن يجرب بنفسه نتيجة إصراره وعناده لكي ما إذا عاد يعرف ما كان فيه من نعيم وزاد ..

فالله رغم قدرته إلا إنه لا يقسر أحداً علي عبادته أو محبته أنه خلق في الإنسان حرية الإرادة محبة فيه ومازال يحترم تلك الحرية لأنه ومازال يحب الإنسان ...

لنرد علي السؤال بسؤال ...ماذا كان سيحدث لو لم ينفذ الأب طلب ابنه الأصغر ولم يعطه نصيبه من المال ؟! أظن سوف يحس الابن الأصغر بالقهر ...يمكن أن يكره الحياه ...يمكن أيضاً أن يكره أباه ...يمكن أن يسرق أباه ليحصل علي مبتغاه ...وسوف لا يكون مختلفاً كثيراً عما وصل إليه في الكورة البعيدة ...من أقوي دلائل المحبة احترام الحرية ..ولو رفض الأب طلب ابنه ، لكان قد رحل دون عودة ..فسبب رجوع الابن وتوبته لم يكن حرمانه فقط من الخروب الذي تأكله الخنازير ولا اشتهاؤه لخبز الأجراء في بيت أبيه ولكن كان سبب رجوعه إلي أبيه هو موقف أبيه منه يوم احترم حريته

وتركه ينصرف . صورة أبيه هذه ظلت مستقرة في أعماق نفسه طوال مدة غربته فشجعته علي الرجوع لثقته في محبة أبيه الذي لم يبخل عليه بنصيبه في عصيانه فبالأولي لن يبخل عليه حال رجوعه تائباً وطائعاً وطالباً للخضوع .

سؤال آخر يلح وهو متعلق بنفس السؤال وهو :

لماذا لم يحاور الأب ابنه الأصغر كما حاور الابن الأكبر عندما خرج إليه طالباً إياه ؟!

ربما حاور الأب ابنه وهو لم يسمع له ..وربما لم يعطي الابن فرصة للأب لكي يتحاور معه ... وهذا ما يحدث معنا دائماً إننا لا نعطي فرصة للتحاور مع الله في الصلاة ولكننا نتسرع بدافع شهواتنا أو ميولنا أو مشاعرنا الخاطئة بالملل والضيق والضجر ...وعلاجاً لذلك يجب علينا التروي والتفكير وطلب المشورة والمعونة ....فكان يجب علي الابن الأصغر أن يستشير أبيه في تلك الأفكار المسيطرة عليه ويا حبذا عندما كانت في بدايتها لا أن يتركها ترعي في أفكاره حتي أوصلته إلي ذلك الطلب الذي يخالف الشريعة والعقل ...

+ كيف يمكننا أن نمنع حدوث مثل ذلك قبل وقوعه ؟!

بمعني آخر هل للبيت سبب في ضلالة ابنائهم ؟! من المؤكد للبيئة دور أساسي في انحراف الابناء ..ومن عناصر البيئة الأسرة والمدرسة والشارع والأصدقاء ....فعلي الأسرة أن تراقب أبنائها دون تدخل صريح مع استعمال لغة الحوار والاقناع وعدم الحجر علي آراء الصغار بل وإعطاء الفرصة لسماع إرائهم والأخذ بها بقدر الإمكان ...يجب علي الآباء والامهات عدم تدليل آبنائهم إلي حد الافراط وعدم الحزم إلي حد الصرامة ...يجب علي الأسرة أن تتخذ طريقاً وسطاً ...في قصة الابن الضال هل كان الابن الأصغر مدللاً ؟!...اعتقد ذلك ..وهذا فيما أعتقد كان من أسباب غيرة الابن الأكبر منه حين عاد ....علي الأسرة أيضاً أن تُشرك أبنائها في الأعمال بالمنزل ...في الانشطة بالكنيسة أو النادي... لكي لا يملوا ...علي الأسرة أيضاً متابعة أولادهم في المدرسة في الشارع ومن هم أصدقائهم ...من الغريب أننا لم نسمع عن أصدقاء للابن الأصغر سوي بعد الذهاب والضلال في الكورة البعيدة ...هل كان هذا هو السبب في الضلال ؟! علينا كأسرة أن نختار أصدقاء لأبنائنا نثق فيهم وفي أدبهم وفي أسرهم ...بل يجب علينا أن نصادق أبنائنا نتكلم معهم ...نتحدث إليهم ...نسمعهم ...ولا مانع من اللعب معهم ...حتي يشبوا علي الصراحة معنا ...وأقول لو لم يكن الابن الأصغر واثقاً في محبة أبيه لما طلب منه نصيبه في المال ولأنحرف دون أن يحس والده ...

علي الأسرة أيضاً أن تحب أبنائها وأن تُظهر هذا الحب لكي لا يبحث عنه الأبناء خارجاً ..في العموم علي الأسرة أن تكون قدوة لأبنائها ...عليهم أيضاً أن يقرأوو كثيراً في علم النفس قبل أن ينجبوا لكي يتعلموا كيف يتعاملون مع أبنائهم في كل مرحلة من مراحل نموهم ...

+ هل كان الابن الأصغر علي صواب فيما كان يحس به ؟!

بالطبع لا ...فهذه الأحاسيس هي بعيدة تماماً عن الحقيقة ...ودل علي ذلك ما حدث بعد ذلك والتجربة التي خاضها الابن الأصغر ...ليس فقط بعد أن جاع وأفلس بل في بداية الضلال والذهاب إلي الكورة البعيدة ...هل هذا الشاب الصغير وهو مسافر من بيته إلي تلك الكورة البعيدة كان يحس بالسلام ...لا أعتقد ....فالانسان لا يحس بالنعمة الذي هو فيها إلا بعد أن يفقدها ...تماماً كما حدث مع أبوينا الأولين فهما مثل الابن الضال تماماً يعيشون في جنة أبيهم السماوي يتمتعون بخيره وما سخره لهم من طبيعة خادمة ولكنهم تذمروا مثل الابن الضال تماماً ..أرادوا الأفضل ...أرادوا الاستقلال عن الله أو يصبحوا مثل الله ...هذا ما سقط فيه الشيطان وكان سبباً في سقوط أبوينا الأولين ...أرادوا المجهول وعندهم اليقين ...أرادوا التجربة وهم يمتلكون الحقيقة كاملة ...هذا حال كل خاطئ في كل عصر يريد الاستقلال ...يريد الحرية ..ويظن أن الحرية في الانفصال عن الله والابتعاد عنه بعيداً وهو لا يدري أنه بذلك سوف يذوق مذلة العبودية ....

كان علي هذا الابن الذي من المؤكد أنه لم يشك في محبة أبيه أن يتروي في تفكيره بل يعطي لفكره الوقت للاستشارة وأخذ الرأي ...ليس أفضل من التنفس عن أفكارنا وما يجول بداخلنا وخاصة في هذا السن المبكرة وهذه وظيفة الأسرة والكنيسة معاً ...علي الأسرة أن تحيل أبنائها لآباء اعتراف وخدام ومرشدين من أهل الثقة حتي يكونوا محل ثقة الأبناء ..وعلي الأبناء أن لا يدعوا الأفكار تعشش في عقولهم بل عليهم تفريغها أولاً بأول ...

ويمكننا أن نوجز أسباب ضلال الابن الأصغر وكيفية معالجة الأسباب في الآتي :

(أ) الطمع :

نلاحظ أيضاً خطية الطمع في طلب ذلك الابن فهو لم يطلب جزء من المال أو من نصيبه كما كان يظن بل طلب كل نصيبه ...هكذا الخطاة في كل زمان لا ينظرون إلي محبة أبيهم والنعم الروحية التي يتمتعمون به في بيت أبيهم بل ينظرون فقط إلي الأمر التي تُري ، الزمنية ، الوقتية ، ويطمعون فقط في إشباع شهواتهم في الوقت الحاضر ، لكنهم لا يفكرون في سعادة الحياة الأبدية بعد أن

تنتهي وتزول الحياة الحاضرة " و نحن غير ناظرين الى الاشياء التي ترى بل الى التي لا ترى لان التي ترى وقتية و اما التي لا ترى فابدية (2كو 4 : 18)

(ب) الكبرياء

كما نري الكبرياء مستتراً في طلب الابن الأصغر بالقسم الذي يصيبه من المال وكأنه يقول لأبيه " إنني لا أثق في إدراتك لهذا القسم وأشعر إنني سأكون الأفضل في إدارتها " ...هذه هي الكبرياء التي هي البداية في سقوط كل إنسان يشعر أنه يستطيع أن يقود نفسه ويدربها دون مشورة الله أو الخضوع لمشورة من هم أكثر خبرة منه فتنفرد به الشياطين ويجعلونه يرعي في مراعي الخنازير وعندما طلب المعونه بعد ذلك نجد الكتاب يشهد بقوله " ولم يعطه أحد "

(ت) الملل والضجر :

الابن الأصغر مثل كل إنسان يكون عائشاً في بيت أبيه في سلام واطمئنان ممارساً لواجباته اليومية إتجاه أبيه السماوي وبيته الكنيسة وفجأة يحاربه الشيطان بالملل والضجر فيوسوس إليه الشيطان بثقل صلوات الاجبية وتكرار صلوات القداس وخاصة إن كان يعيش مع أبيه ويمارس ما عليه بالجسد لا بالروح ، بالقسر لا بالحب ...فيفكر ذلك المسكين في التغيير كسراً لذلك الملل والضجر فيبدأ بطرح أسلحته التي تحميه من صلوات وقراءات ويترك نفسه فريسة للأفكار ومن بعدها السقوط وطلب الخروج من حضن الآب ولا ينتبه لنفسه إلا وهو في كورة بعيدة يرعي فيها الخنازير وهو عبد ذليل لسيد قاسٍ مرير يشتهي أكل الخرنوب ولا يجد من يعطيه ...

ولكن ما هو الحل لحرب الضجر والملل والضيق ؟! الحل كما علمنا الآباء في العمل القليل المنظم والحياة بالروح لا بالحرف بالحب لا بالغصب ، يجب علينا عندما يحاربنا عدو الخير بالملل والضجر أن نعرف أن هذه الحرب يجب أن تأتي بل وأن نكون مستعدين لها وفي انتظارها بأن نعتبر أن هذه حرب وليس سقوط مع معرفة أن الحرب في هذه المرحلة وهي مرحلة الملل والضجر سهلة للانتصار عليها والتخلص منها لأن الحرب مازالت في بدايتها ، فيمكننا أن نغير مكان أو وضع الصلاة ، يمكننا الذهاب إلي أب الاعتراف واستشارته في هذه الحرب البدائية ، يمكننا أيضاً اللجوء إلي الله لكي يرفع عنا هذه الحرب من بدايتها ، ولكن هناك تحذير ...إياك والتخلي عن اسلحة الحرب التي في يديك ، إياك والخروج من البيت كن دائماً في محيط الآب والكنيسة وإياك والكورة البعيدة .

(ث) النسيان ...يعلمنا الآباء أن من أهم أسباب الخطية " النسيان " ...نسيان ما نحن فيه من نعمة ...كما فعل الابن الأصغر الذي لم يتذكر ما كان فيه من نعمة إلا بعد أن زالت منه وهو في

الكورة البعيدة عندما قال " كم من أجير في بيت أبي .." حال ذلك الابن حال كل إنسان يعيش داخل بيت أبيه السماوي (الكنيسة) فينسي ما هو فيه من نعم ، ينسي غني أبيه وحضنه ، ينسي الشبع الروحي وتعزيات الروح القدس ، ينسي السلام والآمان لأنه في بيت أبيه الحنان الذي يمتاز بالقوة والحنان ...نعم أن سبب سقوط الانسان هو النسيان فأبوينا الأولين نسوا كل أشجار الجنة وركزوا فقط في شجرة الخطية ..نسوا أو تناسوا ما أجزله عليهم الله تعالي من سلطان وركزوا فقط في مواعيد الشيطان المليئة بالخدع والبطلان ...

كذلك نسي أو تناسي ذلك الابن ما الذي سوف تسببه تصرفاته هذه من ألم وحزن لأبيه ...نسي أو تناسي ما سوف يكون عليه أبيه وابنه بعيداً عنه في الكورة البعيدة ...ونحن كثيراً ما ننسي ما تسببه الخطية من ألم وحزن لأبينا السماوي ...

وعلاجاً للنسيان علينا دائماً بالاستذكار ...نذكر دائماً ما نحن فيه من نعم ...ما نحن فيه من سلام وأمان...نتذكر فضل الله علينا وأحساناته الكثيرة لكي لا نبحث عن أشياء باطلة والتأكد أن كل ما هو خارج عنه هو خداع وضلال ...

علاج آخر للنسيان وهو أن نعيش حياة الشكر الدائم فكما قال أحد الآباء " ليست موهبة بلا زيادة إلا التي تخلو من الشكر " ...فالشكر يساعدنا علي عدم النسيان ..الشكر قبل كل شئ كما تعلمنا الكنيسة التي تبدأ كل صلواتها الليتورجية بصلاة الشكر ...فعلينا أن نشكر الله قبل الصلاة وبعدها...قبل الأكل وبعده ...قبل التناول وبعده ...قبل كل عمل نؤديه وبعده ...

يجب علينا أن لا ننسي أن الخطية إنفصال عن الله الذي يحبنا ...عن الكنيسة التي تحتضنا ...لا ننسي أن الخطية فيها جرح مشاعر لأبينا السماوي وللملائكة والقديسين ...

(ج) الرغبة في التملك :

الابن الأصغر ذهب إلي أبيه طالباً نصيبه من المال فهو اغباً في أن يتملك ، فهو يشعر بأنه محروم لا يملك شئ مع أنه يملك كل شئ ، ليته كان يعي مقولة أبيه لأخيه الأكبر " كل ما هو لي فهو لك " ...هكذا حال كل إنسان يبحث عن التملك والمال حاسداً أو سارقاً ولكنه لا يعرف إن هذا المال مآله إلي الهلاك والدمار ...

ما هو نصيب الانسان لدي الله حسب طلب الابن الضال ...الجسد والروح والحواس ؟! نعم أن هذه الأشياء هي ما يصيبنا لدي الله ..ولكن يجب أن نعرف أن كل هذا يكون محفوظاً في سلام

وأطمئنان عندما يكون في حوزة الآب كما يكون كل هذا في جوع وقلق وعار عندما نرغب في الانفصال ...

ليتنا نعي إننا عندما نكون في بيت الآب فنحن نملك كل الأشياء ولكن عندما نكون خارج بيت الآب فنحن نخسر كل شئ ..

ليتنا نعي أيضاً ما هي المخاطر الموجودة خارج البيت من ذئاب خاطفة لا تشفق علي الرعية ..ليتنا نعي أنه خارج بيت الآب يقف منتظراً خصمنا أبليس كأسد زائر جائلاً مريداً من يبتلعه (1بط 5 : 8) ونحن خارج بيت الآب بلا سور يحمينا ولا أب يدافع عنا ...ليتنا نتمسك بالبيت أي بالكنيسة نتحصن بها وبأسرارها ووسائط النعمة التي ننالها من خلالها فنحن بعيداً عن كل هذا نصبح صيداً سهلاً لعدونا الذي يريد افتلراسنا ...

وكما يقول القدِّيس أمبروسيوس " من يبتعد عن الكنيسة يبدد ميراثه "

ويقول أيضاً الشهيد كبريانوس: [من يبقى خارج الكنيسة فهو خارج معسكر المسيح ، من ليس له الكنيسة أمًا، لا يقدر أن يكون الله أباه "

ربما الابن الأصغر عندما طلب نصيبه من المال لم يكن في فكره الخطية ...ربما أراد أن يعمل في تجارة أو أن يستثمر ماله حسب مشورته ...وهذا هو خطر الاستقلال والبعد عن المشورة وبيت الآب ... أن أخطر حرب تقابل الإنسان هي حرب الاستقلال ...فالشاب لا يقتنع بأب اعترافه أو مرشده الروحي ويقول داخل نفسه بجهل أبيه الروحي أو يدس الشيطان في فكره عدم انتباه أحد من بيت أبيه إليه فيريد أن يستقل ولا يشعر بشئ سوي بوجوده منفرداً ضعيفاً أمام قوة الشيطان المهولة ..

وعلاجاً للرغبة في التملك علينا بالقناعة كما يقول الرسول " و اما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة (1تي 6 : 6) ..ليته ذلك الابن الأصغر كان قنوعاً بما هو فيه وما ينعم به في بيت أبيه ...ليتنا جميعاً كمؤمنين أن نكون قنوعين بما نحن فيه داخل الكنيسة ...ليس المهم في المراتب والرتب ..وليس المهم في من هو صغيراً أو كبيراً ...المهم إننا جميعاً في بيت الآب ..المهم في تقوي ومخافة الآب ...المهم في القناعة التي توصل صاحبها إلي محبة وحضن الآب ...

(ح) التذمر :

"و لا تتذمروا كما تذمر ايضا اناس منهم فاهلكهم المهلك " (1كو 10 : 10)...الابن الضال هذا لا يختلف كثيراً عن شعب اسرائيل الذين كانوا في البرية فرغم معية الله معهم ومعجزاته الكثيرة لأجلهم والغذاء الروحي وعمود النار والسحابة إلا أنهم كانوا دائمي التذمر مثل الابن الضال تماماً

هذا الذي لم ينقصه شيئاً من أكل وشرب وكساء وأب محب وبيت ملئ بالخيرات ومع ذلك نراه متذمراً من كل شئ ...

ليتنا نتعلم أن لا نتذمر من طوبيا رغم تجربة فقدان البصر " فانه اذ كان لم ينفك عن تقوى الله منذ صغره و حافظا لوصاياه لم يكن يتذمر على الله لما ناله من بلوى العمى (طوبيا 2 : 13)

وهوذا الحكماء يعلموننا بعدم التذمر بأقوالهم النبوية " فاحترزوا من التذمر الذي لا خير فيه (الحكمة 1 : 11) ،" العبد الحكيم يخدمه الاحرار و الرجل العاقل لا يتذمر "(سيراخ 10 : 28)..

ليتنا نتعلم أن نشكر لا أن نتذمر ، ليتنا نري دائماً الايجابيات وأفضال الله علينا بدل النظر إلي ما نظنه ضيقاً وظلماً ...

(خ) الحرية المزيفة .

لماذا طالب الابن الأصغر نصيبه ؟! هل لكي يقوم بأعمال تجارية ، ويتاجر بأمواله وينميها ؟ كلا بل قد كان قد مل من حكم أبيه ورقابته ، ومن النظام البديع في بيت أبيه ..

إنها روح التمرد والعصيان التي ساقت هذا الاب إنسياق وراء ما يسميه الكثيرون بالحرية ، إن الخاطئ يريد أن يبعد عن رقابة الله أبيه عن رقابة الضمير ريبعد عن الكهنة والوعاظ " قال الجاهل في قلبه ليس اله (مز 14 : 1)

يتشابه الابن الضال مع عيسو الذي كتب عنه الرسول " لئلا يكون احد زانيا او مستبيحا كعيسو الذي لاجل اكلة واحدة باع بكوريته (عب 12 : 16)..فقد استباح لنفسه الشر والعصيان وباع امتيازات البنوة ورفض حضن الآب .وبطلبه هذا انفصل عن أبيه وهذا يمثل انفصال المؤمن عن الله وفي هذا يقول القديس أغسطينوس " موت الجسد هو انفصال النفس عن الجسد ، أما موت النفس فهو انفصال النفس عن الله "

وكان هذا الابن مغرماً بالحرية الكاذبة التي هي في الواقع أقسي عبودية لأن الحرية في الخطية عبودية " كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية (يو 8 : 34)...لأن الانسان في الخطية لا يستطيع إلا أن ينفذ أوامر سيده والسيد هنا هي الخطية ...بل في بعض الاحيان نري الانسان الخاطئ يتذلل كعبد للخطية وغالباً ما تقسو الخطية علي الإنسان وتعذبه ولا تتركه إلا بعد أن تقضي عليه أبدياً ...

..هكذا حال كل إنسان يعيش في بيت أبيه وهو لا يشعر أنه سيد نفسه إلا بعد أن يذوق مرارة العبودية خارجاً ..

من الأسباب الواضحة للسقوط في الخطية هو أن يحاربنا الشيطان بالرغبة في الحرية ...ويجلب علي عقلنا أفكار بأننا مثقلين تحت نير الصلوات والأصوام والميطانيات ويجلب علينا صورة الآخرين الذين يستمتعون بوقتهم كيفما شاءوا يلعبون يضحكون يهرجون يذهبون للسينما وهو يريد أن يخدعنا ...يجب أن نعرف كعلاج لهذا السبب ونتأكد أن الشيطان كذاب وأبو كل كذاب كما قال الكتاب (يو 8 : 44)...

يجب علينا أن نعرف المعني الحقيقي للحرية ، فالحرية الوحيدة الحقيقية هي التي في المسيح وخارج المسيح لا توجد حرية " فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون احرارا (يو 8 : 36)...وأن نعلم أن من يفعل الخطية هو عبد لها وليس حراً ...فهذه الحرية التي يريد الشيطان أن يخدعنا بها كما خدع الابن الضال هي حرية مزيفة غير حقيقية بل هي في جوهرها عبودية للشيطان ذلك السيد القاسي الذي يريد أن يذلنا ويجوعنا وأخيراً يميتنا معه ميتة أبدية في تلك البحيرة المتقدة بالنار والكبريت .

يجب أن نعرف أن الحرية الحقيقية في بنوتنا لله أو في أبوة الله لنا وعدم إنفصالنا أو استقلالنا عنه...حريتنا الحقيقية في بيت أبينا وليس خارجه ...الحرية الحقيقية في أن نصبح ملكاً لأبينا الذي يحبنا ويريد لنا الحرية الحقيقية ..

(فقسم لهما معيشته)...

الأب هنا كرمز لله العادل الذي لا يظلم أحد فقد قسم لهما معيشته ، كما يتضح هنا أيضاً احترام الله لحرية الانسان فقد كان للأب سلطان في أن يرفض طلب ابنه بل كان في يده أن يعاتبه ويعنفه ولكنه احترم رغبته ولم يرفض طلبه ...

يظهر أيضاً من فعل الأب السابق تضحيته فقد قسم لهما معيشته ولم يُبقي لنفسه شيئاً ...وبالمثل فعل الآب السماوي معنا نحن البشر عندما بذل ابنه الحبيب لكي لا نهلك بل تكون لنا الحياة الأبدية كما يتضح أيضاً كرم الأب فقد قسم بين إبنيه كل ماله وأعطي االبن الاصغر نصيبه وقدم للأكبر نصيبه ، الذي كان ينبغي أن يكون نصيباً مضاعفاً ، لكن يبدو أنه أراد أن يبقيه بين يدي أبيه ، وكان نتيجة ذلك قول أبه له " كل ما هو لي فهو لك " ...وهنا الأخ الأكبر رمز لليهود الذين تبعوا الله في البداية وخضعوا له وكانوا شعبه ولكنهم لم يستمروا بل تمردوا عليه في صورة السيد المسيح لأنه قبل الأمم والخطاة وأشفق عليهم ...

السفر إلي كورة بعيدة .

و بعد ايام ليست بكثيرة جمع الابن الاصغر كل شيء و سافر الى كورة بعيدة و هناك بذر ماله بعيش مسرف. (ع 13)

(بعد ايام ليست بكثيرة جمع الابن الاصغر كل شيء) :

دائماً وأبداً عند خروجنا من الكنيسة " بيت أبينا " وانفصالنا بإرادتنا عن الله يكون انحدارنا سريعاً وشديدا ...كما حدث مع الابن الضال الذي لم تمر بضعة أيام إلا وكان في الكورة البعيدة ...نعم ما أسهل السقوط والانحدار وما أصعب الصعود والارتقاء ...

إن كان الله يتركنا لأنفسنا حسب إرادتنا ورغبتنا برهة وجيزة فلن يمضي وقت طويل حتي نتركه ونبتعد عنه ..وإذا ما نزع عنا نعمته التي تحفظنا فإننا سرعان ما نضل ونتيه ...

يمكننا أن نستنبط سبباً آخر من الأسباب التي تسوقنا إلي الخطية وتجعلنا نتمادي فيها وهو " التسرع " وكمثال لنا ذلك الابن الأصغر الذي لم تمر أيام إلا وجمع كل شئ وسافر إلي كورة بعيدة ، فنراه لم يعطي نفسه فرصة للتفكير أو عقد المقارنات أو ما سيفعله في تلك الكورة البعيدة أو حتي إلي إين هو ذاهب ...التسرع دائماً ما لا يجعلنا نفكر في عواقب أفعالنا والنتائج المترتبة عليها ...

حتي إن هذا الابن الأصغر لم يفكر في الخسائر التي يمكن أن تلحق به نتيجة تسرعه فمن المؤكد أنه قد باع بعضاً من ممتلكاته بثمن بخس نتيجة تسرعه ورغبته في أن يبتعد بعيداً وبسرعة نتيجة خجله مما طلب من أبيه ...ربما فكر ذلك الابن كيف يراه أهل بلده كجاحد لأبيه..أو ماذا يقول له أخيه في كل مرة يراه فيها .. أو ما يلحقه من تعيير من داخل نفسه ومن ضميره ..فأراد الابتعاد والهروب أولاً وأخيراً من نفسه تلك التي رجع إليها في آخر القصة وكان ذلك الرجوع إلي النفس هو سبب الرجوع إلي البيت و إلي البلدة وإلي الآب كما كان الهروب من النفس سبب الضلال والضياع .

وهذا ما نفعله نحن أيضاً عندما نبيع ممتلكاتنا أو ممتلكات أبينا بأثمان بخسة ...فنبيع أجسادنا التي أعضاء المسيح وهياكل الروح القدس مقابل لذة وقتية عابرة بل مقابل عذاب ضمير مستمر وبُعد وهروب من أنفسنا ...

ليتنا إن لم نستطع أن نتقدم في حياتنا الروحية لا نتقهقر ونكون ثابتين إلي ما وصلنا إليه سواء بالسلب أو بالإيجاب ..بالتأكيد الابن الأصغر عندما كان في بلدته كان قريباً من بيت أبيه عكس ما حدث بعدما ذهب إلي الكورة البعيدة ..

ليته تروي وفكر كثيراً قبل تلك الخطوة وفي الذهاب إلي تلك الكورة البعيدة ...بالتأكيد وهو في بلده كان سيخجل من أهله وأقاربه وأهل بلدته فلن يستطيع أن يصرف كل ماله في عيش مسرف أو يصاحب أولئك الأصدقاء الذين كانوا سبباً رئيسياً في ضياعه ...

الانسان عندما يعرض نفسه لشهوة الخطية يكون عرضة للتهور وفعل أي شئ دون تفكير أوتأني ...فالخطاة الذين يضلون عن الله يخاطرون " بكل شئ " ...

" و سافر الى كورة بعيدة "

الخطية في حقيقتها هي ارتداد عن الله وترك له وبُعد عنه وما الكورة البعيدة هذه إلا العالم وشهواته ...

إن تعاسة الخطاة هي أنهم بعيدون عن الله ، عن ذاك الذي هو مصدر خيرهم وفرحهم وسعادتهم ...وما هي جهنم نفسها إلا إنها ابتعاد وانفصال عن الرب الإله ..

يفسر بعض المفسرين الكورة البعيدة ليس بالبعد المكاني بل ببعد الفكر والقلب عن الله فالابن الضال عندما ضل بإرادته وأراد الانفصال والاستقلال عن بيت الآب ابتعد بفكره وقلبه عن الآب وذلك نتيجة للإنفصال ...وكل إنسان عندما يخطئ ينفصل ويبتعد عن الله والفكر يمتلئ من النجاسات بدلاً عن الروحيات والقلب يمتلئ بالحماقات بدلاً من حكمة أولاد الآب ...

ما أسهل أن يورد الشيطان أفكار الإلحاد لذلك الشخص الخاطئ الذي انفصل وابتعد بإرادته عن الرب الإله ..

ونتيجة لذلك الابتعاد عن الله يصبح الإنسان ضعيفاً وهشاً أمام الرياح والأمواج ...

ونحن نلاحظ إن البشرية كانت لا يمكنها أن تقع في الشرك والإلحاد وعبادة المخلوقات إلا بعد أن سقطت في هوة الخطية وابتعدت بإرادتها عن الرب خالقها .

ليتنا نلاحظ مخاطر الابتعاد فنفضل الاقتراب " اقتربوا الى الله فيقترب اليكم (يع 4 : 8)...فالعلاج الوحيد للابتعاد هو الاقتراب ...فكان علي الابن الأصغر قبل أن يسافر إلي تلك الكورة البعيدة ...كان عليه أن يفكر في الاقتراب من أبيه بدلاً من الابتعاد وكان هذا سيغنيه عن الجوع والمذلة والعبودية القاسية ...كان عليه من البداية أن يراجع نفسه ويرجع نادماً باكياً إلي أبيه بدلاً من الابتعاد والمذلة والامتهان .

يقول القدِّيس يوحنا الذهبي الفم: "لم يسافر الابن الأصغر إلى كورة بعيدًا، فيرحل عن الله مكانيًا، لأن الله حاضر في كل موضع، وإنما يرحل عنه بقلبه؛ إذ يهرب الخاطئ من الله ليبتعد عنه بعيدًا]]

يقول القدِّيس أغسطينوس " بأن هذا الرحيل هو اتكال الإنسان على ذاته وقوَّته الخاصة فيفقد عمل الله فيه، وعلى العكس الاقتراب من الله يعني الاتكال عليه، ليعمل فينا، فنصير على مثاله" يُعلِّق القدِّيس أمبروسيوس على السفر إلى كورة بعيدة، قائلاً: " الابتعاد الأعظم هو أن ينفصل الإنسان لا خلال المسافات المكانية وإنما خلال العادات، فلا يذهب إلى بلاد مختلفة بل يحمل اتجاهات مختلفة... من ينفصل عن المسيح يتغرب عن الوطن، ويصير وطنه هذا العالم، أما نحن فلسنا بعد غرباء ونزلاء بل رعيَّة مع القدِّيسين وأهل بيت الله (أف 2: 19)، لأنه "أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح" (أف 2: 13). ليتنا لا نكن قساة على القادمين من كورة بعيدة، لأننا نحن أيضًا كنا بعيدين في كورة بعيدة... هي ظلال الموت... وقد صرنا أحياء في ظل المسيح، لذا تقول الكنيسة: "تحت ظله اشتهيت أن أجلس" (نش 2: 3) "

والبعض يفسر الكورة البعيدة التي يمكن للإنسان أن يهرب إليها علي إنها "الأنا"فينطلق الإنسان في كمال حريته من"الحب"، إلى الأنانية حيث يتقوقع حول ذاته، فيصير كمن هو في كورة بعيدة، لا عن الله فحسب، بل وعن الناس، وعن محبَّته لخلاص نفسه. خلال "الأنا" يفقد الإنسان التصاقه الداخلي بالكل، و"الأنا" هي انغلاق داخلي محكم، يحبس فيه الإنسان نفسه وحيويته، ليفقد إنسانيته، ويعيش في عزلة داخليَّة عن الله وعن نفسه وعن من حوله من أخوة آخرين !

(هناك بذر ماله بعيش مسرف)

الخاطئ يبذر في الشهوات الوزنات التي أعطاها له أبوه السماوي ، وينسي أنه سوف يعطي عنها حساباً .

إن النفس التي تستعبد للعالم أو الجسد فأنها تبذر مالها بعيش مسرف ...والمال أو الميراث الذي يفسده ويبذره عظيم القيمة وهو ليس ملكاً له ، بل هو خير الرب الذي يجب أن يعطي عنه حساباً ... معني " بذر " أي "فرق – قسم " فنتيجة من نتائج الخطية والابتعاد عن الله إن يصبح الانسان منقسماً قلقاً غير مستقراً ...فرغم خطيته وبعده إلا أن هناك شيئاً يجذبه إلي بيت الآب " لان الجسد يشتهي ضد الروح و الروح ضد الجسد و هذان يقاوم احدهما الاخر حتى تفعلون ما لا تريدون (غل 5 : 17) ...ولأن الخطية دخيلة علي الانسان وليست من جوهره فهو لا يرتاح إليها ولا يفرح بوجودها ويعتبرها عبودية قاسية ويرغب في التخلص منها ولكن الصعوبة تكمن في مدي الابتعاد الذي ابتعدناه ...ولكن هناك عبارة قالها الرب الإله في سفر نحميا تعطي رجاءاً عظيماً مهما كان

الابتعاد " و ان رجعتم الي و حفظتم وصاياي و عملتموها ان كان المنفيون منكم في اقصاء السماوات فمن هناك اجمعهم و اتي بهم الى المكان الذي اخترت لاسكان اسمي فيه (نح 1 : 9) السيد المسيح في ضربه هذا المثل لم يجئ بالخطايا التي فعلها الابن الضال بالتفصيل بل اختصر ذلك في تلك العبارة " بذر كل ماله في عيش مسرف " فالسيد المسيح يريد بذلك أن يعلمنا أن لا ندين أحداً كما أراد أن يعلمنا أن لا نتفوه بأي ألفاظ خارجة أو نابية ليس كما فعل الابن الأكبر في المثل عندما دان أخاه الأصغر في وجه أبيه عندما خاطبه قائلاً عن أخيه أنه "أكل معيشتك مع الزواني "

كما نتعلم من عبارة السيد المسيح في هذا المثل " بذر ماله بعيش مسرف " ...نتعلم الاعتدال وليس الاسراف ...فكما إننا مطالبون بعدم البخل فنحن مطالبون بعدم الاسراف ...ليس هناك أفضل من الاعتدال والوسطية في كل الأمور .

(2) الجوع والاحتياج .

فلما انفق كل شيء حدث جوع شديد في تلك الكورة فابتدا يحتاج. (ع 14)

(فلما انفق كل شيء)

أنفق بمعني(فقد) ويمكننا أن نحصي ما فقده الابن بل ما يفقده كل إنسان بسبب خطيته في الآتي :

(1) فقد اللياقة والأدب : وذلك نراه في طلبه في أن يرث أبيه قبل وفاته ....هكذا الإنسان في الخطية لا يهمه تصرفاته وما يمكن أن ينتج عنها فهو مسوق من الخطية ولا يدري نتائج أفعاله .

(2) فقد الوطن والأهل : وهذا نراه عندما ذهب الابن الأصغر إلي الكورة البعيدة بعيداً عن أبيه وأخيه وبيته بل وكل أهل بلدته ..هكذا الإنسان الخاطئ يفصل نفسه بنفسه بسبب خطاياه عن أبيه السماوي وأخوته المؤمنين وبيته أي الكنيسة وأهل بلدته أي الملائكة والسمائيين فيذهب إلي الكورة البعيدة كورة الشياطين والخنازير .

(3) فقد المال : المال هو ما يملكه الانسان من حواس فيفقدها الانسان في الخطية فهو لا يكتفي فقط بدفنها في التراب دون أرباح بل يفقدها في عمل الخطية وهذا الذي قال عنه السيد المسيح " فان من له سيعطى و يزاد و اما من ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه (مت 13 : 12)

(4) فقد الطعام : الطعام الذي يفقده الخاطئ هو السيد المسيح خبز الحياة" لان خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم (يو 6 : 33)" انا هو خبز الحياة من يقبل الي فلا يجوع و من يؤمن بي فلا يعطش ابدا (يو 6 : 35)" هذا هو الخبز النازل من السماء لكي ياكل منه الانسان و لا يموت (يو 6 : 50)" انا هو الخبز الحي الذي نزل من السماء ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد و الخبز الذي انا اعطي هو جسدي الذي ابذله من اجل حياة العالم (يو 6 : 51) ..

كذلك الطعام الذي يفقده الانسان الخاطئ كلمة الله أو كتابه المقدس الذي قُيل عنه " ليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله (مت 4 : 4)..وقد وصفها داود النبي في مزاميره قائلاً " اشهى من الذهب و الابريز الكثير و احلى من العسل و قطر الشهاد (مز 19 : 10) ، " ما احلى قولك لحنكي احلى من العسل لفمي " (مز 119 : 103)

(5) فقد الوعي والقدرة علي التمييز : الانسان الخاطئ كالحيوان الذي يغطون عينيه فهو لا يدري ماذا يفعل فهو يدور في مكانه حيث الخطية فهو لا يمكنه الرؤية ولا يستطيع الافلات من الساقية بسبب أربطة الخطية التي ربط نفسه بها أو التي ربطه بها الشيطان ...فهو مثل مجنون كورة الجدرييين يجرح نفسه وهو لا يدري أنه يؤذي نفسه لأنه " يساق من الشيطان (لو 8 : 29)

(6) فقد الاصدقاء : حتي الأصدقاء الذين كسبهم بمال أبيه نجدهم يتخلون عنه عند حاجته ...فالانسان الخاطئ يصبح وحيداً نتيجة لخطاياه .

(7) فقد الطهارة : وهذا يتضح من رعايته للخنازير وكما أن الخنازير رمز للنجاسة عند اليهود كذلك الخطية فالخطية بوجه عام نجاسة ودنس ، أنه لمن أخطر الأشياء التي يفقدها الإنسان بسبب خطيته هي طهارته ونقاوته ..لأن الطهارة بمثابة الدافع لكل عمل صالح فهي القوة المحركة في داخلنا وبدونها لا يمكن أن نعاين أو نرتبط أو حتي يكون عندنا الإيمان أو الاحساس بالله " طوبى للانقياء القلب لانهم يعاينون الله (مت 5 : 8) ...وقد كرر الرسول بولس هذا عندما قال " اتبعوا السلام مع الجميع و القداسة التي بدونها لن يرى احد الرب (عب 12 : 14)

(8) فقد المركز : الابن الضال فقد مركزه كابن ونزل إلي مستوي الأجير ..هكذا الإنسان الخاطئ فهو معرض لأن يفقد مركزه كابن الله .

(9) فقد الثياب : وهذا ما دل عليه أمر الأب لخدامه أن يلبسوا ابنه الحلة الأولي ..والانسان الخاطئ يفقد ثوب البر الذي هو المسيح وثوب العرس شرط الدخول إلي ملكوت السموات ..كما أنه يكون معرضاً لفقد الثياب البيض في السماء إن لم يتب

(10) فقد الكرامة : وهذا ما ظهر في إلتصاق الابن الضال وخدمته لواحد من تلك الكورة ورعايته للخنازير حتي أنه جاء إلي أبيه حافي القدمين ..هكذا الانسان الخاطئ يفقد كرامته بسبب خطيته وإلتصاقه بالشيطان ورعايته لشهواته ونزواته ..

(11) فقد الحياة : وهذا ما أكده الأب حال رجوع ابنه عندما قال " ابني هذا كان ميتاً فعاش " وهكذا يصف سفر الرؤيا الإنسان الخاطئ " إن لك اسماً أنك حي وأنت ميت " (رؤ 3 : 1)

إن الخطاة الذين يصرون علي خطاياهم ينفقون ويبددون ميراثهم ، لأنهم يسيئون استخدام أفكارهم وكل قوي نفوسهم كما يسيئون استغلال أوقاتهم وكل الفرص المتاحة لهم ...أنه ليس فقط يدفنون وزناتهم التي أؤتمنوا عليها ليتاجروا بها فيربحوا بل يبددونها ...وتلك الوزنات التي كانت من المفروض أن تكون سبباً لربحهم هي بعينها التي تسببت في خسارتهم ...فالله لم نرث عنه سوي كل صلاح فحواسنا التي من المفترض أن نتاجر بها في الصلاة والصوم والعبادة نجدنا ننفقها في شهواتنا الدنسة ونربطها بل ندفنها بالارضيات والماديات ..

الخطية تُفقد الانسان كل شئ يملكه ...تفقده إرادته تلك التي إنفصل بها ومن أجلها عن أبيه نراه بالخطية يفقد الإرادة والسيطرة حتي علي نفسه ، نراه خاضع ذليل لفعل الخطية لا يستطيع أن يحرر نفسه من فعلها رغم إذلاله فهو يريد أن يتخلص ويتحرر من قيود الخطية ولكنه لا يستطيع فقد أصبح عبداً لها لأنه باع نفسه إليها بإرادته ...

يا للعجب فإن الإنسان الذي وهبه الله، أبوه السماوي، عطيَّة الإرادة الحرة، كأعظم هبة يستخدمها ضد الله نفسه، فيحسب هذه الحريَّة لن تتحقَّق إلا بالعصيان والخروج عن دائرة طاعة الله ومحبَّته والتمثل بإرادته ويكون نتيجة لذلك أن يفقد تلك الإرادة بكاملها ..

الخطية تُفقد الإنسان سلامه ذلك السلام الذي كان يعيشه وهو في بيت أبيه ولم يشعر بقيمته إلا بعد أن فقده بالخطية ، فالأب أي الله والبيت أي الكنيسة هما سلامنا إذا فصلنا أنفسنا عنهما فقدنا سلامنا ...فلا يمكن لأي إنسان في الخطية أن يشعر بالسلام ...

يا تُري كم المدة التي استغرقها ذلك الابن الضال في تلك الكورة البعيدة حتي أنفق كل شئ ؟ ! وماذا كان يفعل ؟! وأين كان يسكن ؟! وماذا كان شعوره وهو بعيد عن أهله وبيته ؟!

لم يوضح لنا السيد المسيح في المثل كل هذه الأسئلة لأنه لا يريد أن يُشهر بأحد وكعادته يريد تعاليمنا أن لا ندين ولا نُشهر بأحدٍ من أخوتنا ....

يمكننا أن نستنتج من أحداث المثل أن هذا الابن قد كان يعيش الدنيا بطولها وعرضها وبسبب ذلك فقد كل ما كان يملكه ، وقد فترت محبته واشتياقه لأبيه وبيته لأنه مكتوب أنه " و لكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين (مت 24 : 12) ...ولذلك لم يجد الله طريقاً لإرجاع ابنه الذي ضل ولا يشعر إلا بحدوث مجاعة في تلك الكورة ...كثيراً ما يستخدم الله الضيقات والتجارب لإرجاعنا عن طرقنا الرديئة وذلك عندما لا يجد فائدة من استخدام العكاز فلا يجد سوي العصا لكي نشعر ونرجع إليه ... ليتنا عندما نقع في ضيقة أو تجربة بدلاً عن أن نتذمر علينا معرفة ما يريد الله منا ونسأل أنفسنا هل ابتعدنا عن الله وهو يريد منا الاقتراب ، هل شعرنا بالذات وهو يريد منا الاتضاع . فكل ما يعمله الله معنا فهو لخيرنا بشرط أن نفهم المقصد الإلهي من كل الأحداث ...

تخيل أن خطية الابن الضال تسببت بمجاعة لتلك الكورة بأكملها...صدق من قال " السيئة تعم " فالخطية لا تخص الشخص المخطئ وحده بل تتعداه للآخرين ، فها هوذا يونان يهرب من وجه الله والنوتية يعانون الرياح والامواج وانقلاب السفينة ، وداود النبي كذلك يشعر بالذات ويحصي الشعب والشعب بأكمله يعاني الخطر ...

إن كان لدينا محبة لغيرنا علينا أن لا نُخطي لكي لا نعثرهم سواء بالخطية أو النتائج المترتبة عليها ، علينا بفعل البر الذي يرفع شأن الأمة ..فكما أن الله يجعل العقاب شاملاً لكي يُرجع ما يمكن إرجاعه يجعل الثواب أيضاً عامة لكي يحس كل الناس بقدر البر وإحسانه ...

(حدث جوع شديد في تلك الكورة)

الخاطئ إنسان جائع إلي المسيح " خبز الحياة " (يو 6) وإلي كلمة الله " الأحلي من العسل "(مز 19)

حالة أي خاطئ بعيد عن أبيه وبيته تشبه أرضاً قد سادتها المجاعة الشديدة ويحل ما جاء من اللعنات التي تنتج عن العصيان وعدم طاعة وصايا الله كما جاءت في الاصحاح الثامن والعشرين من سفر التثنية وهذه بعضها " و لكن ان لم تسمع لصوت الرب الهك لتحرص ان تعمل بجميع وصاياه و فرائضه التي انا اوصيك بها اليوم تاتي عليك جميع هذه اللعنات و تدركك. ملعونا تكون في المدينة و ملعونا تكون في الحقل.ملعونة تكون سلتك و معجنك. ملعونة تكون ثمرة بطنك و ثمرة ارضك نتاج بقرك و اناث غنمك.ملعونا تكون في دخولك و ملعونا تكون في خروجك. يرسل الرب عليك اللعن و الاضطراب و الزجر في كل ما تمتد اليه يدك لتعمله حتى تهلك و تفنى سريعا من اجل سوء افعالك اذ تركتني.يلصق بك الرب الوبا حتى يبيدك عن الارض التي انت داخل اليها لكي تمتلكها . و تكون سماؤك التي فوق راسك نحاسا و الارض التي تحتك حديدا. و يجعل الرب مطر ارضك غبارا و ترابا ينزل عليك من السماء حتى تهلك.يجعلك الرب منهزما امام اعدائك في طريق واحدة تخرج عليهم و في سبع طرق تهرب امامهم و تكون قلقا في جميع ممالك الارض.و تكون جثتك طعاما لجميع طيور السماء و وحوش الارض و ليس من يزعجها.يضربك الرب بقرحة مصر و بالبواسير و الجرب و الحكة حتى لا تستطيع الشفاء.يضربك الرب بجنون و عمى و حيرة قلب.
يذبح ثورك امام عينيك و لا تاكل منه يغتصب حمارك من امام وجهك و لا يرجع اليك تدفع غنمك الى اعدائك و ليس لك مخلص.يسلم بنوك و بناتك لشعب اخر و عيناك تنظران اليهم طول النهار فتكلان و ليس في يدك طائلة . ثمر ارضك و كل تعبك ياكله شعب لا تعرفه فلا تكون الا مظلوما و مسحوقا كل الايام.و تكون مجنونا من منظر عينيك الذي تنظر.يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين و على الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من اسفل قدمك الى قمة راسك.يذهب بك الرب و بملكك الذي تقيمه عليك الى امة لم تعرفها انت و لا اباؤك و تعبد هناك الهة اخرى من خشب و حجر . و تكون دهشا و مثلا و هزاة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب اليهم.بذارا كثيرا تخرج الى الحقل و قليلا تجمع لان الجراد ياكله.كروما تغرس و تشتغل و خمرا لا تشرب و لا تجني لان الدود ياكلها. يكون لك زيتون في جميع تخومك و بزيت لا تدهن لان زيتونك ينتثر.بنين و بنات تلد و لا يكونون لك لانهم الى السبي يذهبون.جميع اشجارك و اثمار ارضك يتولاه الصرصر.
الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعدا و انت تنحط متنازلا.هو يقرضك و انت لا تقرضه هو يكون راسا و انت تكون ذنبا.

و تاتي عليك جميع هذه اللعنات و تتبعك و تدركك حتى تهلك لانك لم تسمع لصوت الرب "

إلي ماذا جاع الابن الضال وإلي ماذا يجوع كل إنسان خاطئ يعيش بعيداً عن أبيه وبيته وأهله ؟! يجوع أولاً إلي أبيه ...يجوع إلي أصله ...والله هو أصلنا لذا نجوع إليه عندما نبتعد عنه ..فنحن كما هو مكتوب في سفر التكوين نفخة من فم الله " و جبل الرب الاله ادم ترابا من الارض و نفخ في انفه نسمة حياة فصار ادم نفسا حية (تك 2 : 7)...إن سبب قلق وحيرة كل خاطئ وفقدانه للسلام والاطمئنان هو إنفصاله عن أصله وهو أبيه السماوي ...يجوع إلي حضن أبيه الذي فقده بالابتعاد عنه ...ذلك الحضن الذي به كل راحة وسلام واطمئنان وبعيداً عنه كل مجاعة وحرمان ...يجوع إلي الحديث مع أبيه أي الصلاة مفتكراً تلك الأوقات المليئة بالعزاء عندما كان يختلي بأبيه يحدثه ويسمع منه ...ما أحلي تلك اللحظات ...ما هي الآن سوي ذكريات وأمنيات ...

وحقاً قال أحد مفسري الكتاب " لقد خُلقت النفس البشريَّة على صورة الله ومثاله، لن تشبع إلا به بكونه الأصل. العالم كله بإغراءاته، والجسد بشهواته، والحياة الزمنيَّة بكل أحداثها، لن تملأ فراغ النفس التي تتطلب ذاك اللانهائي لكي يملأها "

ثانياً لقد جاع الابن الضال إلي بيته ...فعادة الانسان عندما يخطئ ويبتعد أن يجوع ويشتاق إلي بيته أو بيت أبيه أي الكنيسة ...يجوع إلي التناول من الأسرار المقدسة أي جسد الرب ودمه الذي يجف ويذبل كل من يبتعد عنه ويمثله العجل المسمن في بيت الأب ...يجوع ويشتاق إلي تلك الأعمال والممارسات الذي كان يقوم بها ويشارك فيها وهو في بيت أبيه ...تلك الممارسات التي لم يشعر بقيمتها إلا بعد أن فقدها ...

بيت الآب أو الكنيسة هي في العموم ملكوت السموات ...فالانسان مهما بعد وضل هو في داخله لديه اشتياق إلي الفردوس المفقود إلي ملكوت السموات ...

وفي هذا يحدثنا القدِّيس أمبروسيوس" المجاعة التي اجتاحت تلك الكورة لم تكن مجاعة طعام، بل مجاعة للأعمال الصالحة والفضائل. هل يوجد أمر يحتاج إلى رثاء أكثر من هذا؟! فإن من يبتعد عن كلمة الله يصير جائعًا، لأنه "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (لو 4: 4). بالابتعاد عن الينبوع نعطش، وبالابتعاد عن الكنز نفتقر، وبالابتعاد عن الحكمة نصير جهلاء، وبالابتعاد عن الفضيلة نموت. إذن كان طبيعيًا (لهذا الابن) أن يحتاج، لأنه ترك الله الذي فيه كنوز

الحكمة والعلم (كو 2: 3)، وترك أعماق الخيرات السمائية، فشعر بالجوع إذ لا يوجد ما يُشبع الإنسان الضال. الإنسان يصير في جوعٍ دائمٍ عندما لا يدرك أن الطعام الأبدي هو مصدر الشبع "

(فابتدا يحتاج)

لقد أنفق الابن الضال كل ما يملكه في عيش مسرف دون تفكير لدرجة أنه جاع واحتاج . وهكذا فأن شهوات العالم لا تُشبع بل وتزيد الجوع جوعاً والعطش عطشاً كما قال السيد المسيح للمرأة السامرية " جاب يسوع و قال لها كل من يشرب من هذا الماء يعطش ايضا (يو 4 : 13)...فما هذا العالم إلا بمثابة ماء مالح كلما شربت منه عطشت أكثر..

حالة الإنسان الساقط دائماً تكون علي حالة الجوع و العطش ، ومهما انصب وراء شهوات قلبه لا يجد الشبع ..نظن في البداية أن الخطية لا أن تلذذنا ولكن اللذة إنما هي وقتية ، فإن الشهوة تتقوي من الممارسة ، فالذي يشتهي المال لا يقدر أن يشبع به ، بل كلما زاد زادت رغبته فيه ، وهكذا أيضاً الذي يطلب الشهرة والسلطان في العالم فأنه لو قدر أن يفتح المسكونة كلها ويكلك عليها فلا يراها إلا كشئ زهيد ...أما المغلوب من شهوته الدنيه كالسكر والزنا فحالته التعيسة معلومة بحيث أنه لا يعرف الشبع منها فكلما عمل بها قويت فيه وبالحقيقة يشبه من عطش وشرب قليلاً من الماء ثم يعود ظمأه يشتد بعد وقت وجيز ...

العمل بارادتنا وحسب شهواتنا يظهر حلوا لنا في بداية الأمر ولكن لابد أن آخرته تكون مرة جداً ..

(3) العبودية والخنازير .

فمضى و التصق بواحد من اهل تلك الكورة فارسله الى حقوله ليرعى خنازير. و كان يشتهي ان يملا بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تاكله فلم يعطه احد. (ع 15 ، 16)

(فمضى و التصق بواحد من اهل تلك الكورة)

لقد أجمع المفسرون علي أن ذلك الواحد الذي التصق به الابن الضال هو الشيطان أو رئيس أركان الهواء ...فالخطية ما هي إلا إلتصاق بالشيطان والبعد عن الرب الإله ..

فحالة الخطية حالة عبودية مرة . عندما أدي فساد الابن الضال إلي فقره أدي هذا الفقر إلي العبودية " فمضي والتصق بواحد من أهل تلك الكورة " ...والشيطان هو ذلك الواحد والخطاة يلتصقون به ، يؤجرون أنفسهم لخدمته ، ليتمموا عمله ، ليكونوا رهن إشارته ، وليعتمدوا عليه ليعولهم ...

كان علي الابن الضال عندما حدثت المجاعة الشديدة أن يرجع لا أن يمضي ...كان عليه أن يعرف المخزي منها وهو الرجوع إلي حضن الآب ...ولكن الخطية كثيراً ما تُعمي الابصار والاذهان فبدلاً من الرجوع رغب في أن يكمل المشوار وهو الالتصاق بالشيطان...كان عليه بدلاً من أن يلتصق بالشيطان ...كان عليه مشاركة المرتل في المزمور " أما أنا فخير لي الالتصاق بالرب " ...

من الواضح أن تلك الكورة البعيدة لم تكن يهودية بدليل وجود الحقول لرعي الخنازير والخنازير نجسة ومحرمة لدي الأمة اليهودية ...وهذا يدلنا أن الشيطان غريب عنا يرغب في اذلالنا فعلينا بالابتعاد والحذر منه وعدم سماع كلامه كما قال السيد المسيح عن الخراف " و اما الغريب فلا تتبعه بل تهرب منه لانها لا تعرف صوت الغرباء (يو 10 : 5)

ولكن كيف نميز صوت الغرباء ؟! الاجابة واضحة كل صوت يحسنا علي الابتعاد عن الأب وبيته هذا هو صوت الغرباء ...والعكس كل صوت يحسنا علي البقاء في بيت الآب أو الرجوع إليه هذا هو صوت الإله ...

علينا بتمييز الأصوات ...علينا بالرجوع إلي حضن الآب ...

(فارسله الى حقوله ليرعى خنازير)..

لا يمكن لإنسان يهودي أن يتصور إهانة وانحطاطاً أعظم مما يصفه الرب بهذا الكلام

من المعروف أنه عندما يترك الخروف الراعي ويذهب بعيداً عنه يكون فرصة لأن تنهشه الذئاب وتفترسه ، هكذا ابن الكنيسة عندما يذهب بعيداً عن راعي الكنيسة يكون فرصة لأن يستعبده العدو المحتال ويجعله يحتاج لأن يشتهي أن يأكل مع الخنازير ولا يجد ما يشبعه لبعده عن بيت أبيه كيف وصل ذلك الابن الذي كان متمتعاً في خيرات أبيه إلي هذه الدرجة من المذلة عندما أجر نفسه لعبودية كهذه وتحت سيد كهذا ؟! لقد أرسله إلي حقوله لا لكي يرعي غماً فهذه مهنة شريفة بل لكي يرعي خنازير

هذا هو مقصد الشيطان وهو إذلالنا وعبودينا لكي نعمل لمصلحته وتحت سيطرته وفي حقوله ...فالشيطان لا يمكن أن يبتغي لنا خيراً فهو العدو الأول لنا ...ربما يخدعنا في البداية بواسع الأمل وكثرة المال ولا ندري أنه يجذبنا بذلك كله إلي حقوله لكي نرعي خنازيره ...

الخنازير في الكتاب المقدس ترمز للخطية سواء من حيث المنظر الصعب أو الرائحة الكريهة أو الأماكن القذرة التي تعيش فيها أو القاذورات التي تتغذي عليها ...وها هوذا القديس بطرس الرسول

يوضح العلاقة بين الخنزير والخطية في رسالته الثانية" قد اصابهم ما في المثل الصادق كلب قد عاد الى قيئه و خنزيرة مغتسلة الى مراغة الحماة (2بط 2 : 22)

ليتنا نتعامل مع الخطية كما تعامل ذلك الرجل المسن في سفر المكابين الذي قُيل عنه " كان رجل يقال له العازار من متقدمي الكتبة طاعن في السن رائع المنظر في الغاية فاكرهوه بفتح فيه على اكل لحم الخنزير ...و قذف لحم الخنزير من فيه ثم تقدم كما يليق بمن يتمنع بشجاعة عما لا يحل ذوقه رغبة في الحياة (2مكابين 6 : 20)...ليتنا نسمع صرخة بولس الرسول الذي قال " لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية (عب 12 : 4)

من منا يرغب في رائحة الخنازير أو في قذارتها ؟! هذه هي الخطية وإن بدت في بدايتها ممتعة كما حدث مع الابن الضال ولكن نهايتها عند قاذورات الخنازير ووضح سليمان الحكيم الفرق بين شهوة الخطية ونتيجتها عندما قال " لان شفتي المراة الاجنبية تقطران عسلا و حنكها انعم من الزيت.

لكن عاقبتها مرة كالافسنتين حادة كسيف ذي حدين" (أم 5 : 3 ، 4)

ليتنا نشعر بمدي نجاسة الخطية وتحريم الله لها فنبتعد عنها ولا نمسها كما نكره أن نقترب من تلك الخنازير ذو الرائحة والمنظر الكريه ...

(كان يشتهي ان يملا بطنه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تاكله)

هذه هي عاقبة من يبحث عن الحرية والسعادة بعيداً عن الله

يا له من مصير تعس ذلك الذي وصل إليه الابن الضال فقد انحط جداً لدرجة أحط من الخنازير ...حقاً أن الشهوة والخطية تجذب الانسان لأفعال بعيدة كل البعد عن الآدمية والانسانية ....فالانسان الخاطئ لديه الاستعداد لفعل أي شئ يمكن أن يسد جوعه وشهوته للخطية ولو كان ذلك علي حساب مبادئه أو كرامته ...

الخاطئ لا همّ له سوى أن يملأ بطنه، إذ قيل "آلهتهم بطنهم" (في 3: 19).

الخرنوب كالخطية أو الشهوة لين من الخارج لكنه فارغ من الداخل فهو يملأ البطن بدون فائدة غذائية، وزنه أكثر من نفعه ...فالخطية أو الشهوة منظرها الخارجي يمكن أن يبهر ويغري ولكنها من الداخل مرة كالافسنتين ولكن مع الاعتذار للخرنوب الذي لا ينفع ولا يضر ولكن لا أحد يمكنه أن يحصي الاضرار الناتجة عن الخطية أو الشهوة ..

يقدَّم لنا القدِّيس أغسطينوس[636] ذات التفسير، إذ يرى أن صاحب الحقل الذي التصق به الابن الضال هو "رئيس الهواء" الذي يدخل بالنفس المبتعدة عن الله إلى حقوله، أي يجعله تحت

سلطانه، يخدم الأرواح الدنسة (الخنازير)، إذ يعمل لحساب الخطايا المتنوعة. أما الطعام الذي يقدَّمه فهو الخرنوب، أي التعاليم البشريَّة الجوفاء التي تبهج الشياطين وتملأ ذهن الخطاة لكنها لا تشبع النفس، فيعيش الخاطئ في حياة بلا سعادة، ويشعر كأنه لا يجد من يعطه شيئاُ مشبعًا!

(فلم يعطه احد)

هذا هو الاذلال بعينه أن يشتهي الانسان الخطية ولا يجدها وذلك إمعاناً من الشيطان في إذلاله ...في البداية والابن ما يزال في بيت أبيه كانت الخطية سهلة المنال فهو بسهولة قد حصل علي المال وبسهوله ذهب إلي الكورة البعيدة وبسهولة أيضاً أنفق كل ماله في عيش مسرف ولكنه عندما تملكه الشيطان وأصبح عبداً للخطية يبحث عنها مستجدياً ولا يحصل عليها ...إن الخطية سيد قاسي ترغب في السيطرة والاذلال مثلها مثل الشيطان مسببها ...

ليتنا نتيقن من البداية أن الخطية لانفع منها ولا جدوي سوي العبودية القاسية ومع الضياع والضلال والهلاك الأبدي ...إنها تماماً مثل الخرنوب الذذي من الممكن أن يكون ذو طعم لذيذ للحظات قصيرة ولكنه ليس منه شبع لجوع بل هو الجوع نفسه ...هكذا الخطية ما هي إلا متعة وقتية يعقبها جوع مستمر ونهايتها عذاب أبدي ...

النفس الخاطئة لا يمكن أن تتوقع معونة من أي مخلوق . عندما حدثت المجاعة وعجز الابن الضال عن أن يحصل علي قوته فكر أن يستعطي " فلم يعطه أحد " بل بالتأكيد أخذوا يستهزئون به ويسخرون منه ...هذا يشير إلي من يبتعدون عن الله برغبتهم وإرادتهم لا يمكن أن يجدوا أية مساعدة فباطلاً يصرخون إلي العالم أو إلي الجسد أو إلي أي إله آخر يعبدونه . فإن هذه كلها ليس لديها إلا ما يسمم النفس ...فإن رفضنا معونة الله فلن تستطيع أية خليقة أن تقدم لنا أية معونة .

ربما يقول البعض أن بؤس الابن الضال هو الذي حثه علي التوبة والرجوع ...ليس المهم السبب الذي يدعونا للتوبة والرجوع ولكن المهم في اغتنام الفرصة وعدم التأجيل ؛ فلا يهم أية طريق يرجع بها الإنسان إلي الله أكانت الجوع أم المرض أم الحزن أم الفشل أم الخوف ...المهم أن يحس الإنسان ويستفيق من غفلته وريجع إلي نفسه فيعود إلي ربه مقراً ومعترفاً بأنه هو الحب المطلق الذي وحده القادر أن يشبع قلب الإنسان .

المحنة للإنسان كالهزة الأرضية التي قد تُفجر الينابيع ...فنعم محنة تفجر فينا منابع الإيمان ، فنعود نتذكر أننا أبناء الله ..

(4) الرجوع إلي النفس .

فرجع الى نفسه و قال كم من اجير لابي يفضل عنه الخبز و انا اهلك جوعا. اقوم و اذهب الى ابي و اقول له يا ابي اخطات الى السماء و قدامك. و لست مستحقا بعد ان ادعى لك ابنا اجعلني كاحد اجراك. (ع 17 ، 18 ، 19)

(فرجع الى نفسه)

رجع إلي نفسه بمعني أنه جلس مع نفسه يحاسبها . فاكتشف سوء تصرفه وما جره عليه من متاعب وخسائر الأمر الذي جعله يقرر العودة لأبيه معترفتً بأخطائه وطالباً الصفح ...والخاطئ يجب أن يفحص نفسه ويحاسبها بمخدع الصلاة في حضرة الله وعلي ضوء وصاياه بأمانة ودون محاباة ليكتشف خطاياه توطئة للاعتراف بها والتوبة عنها ..

الانسان في الخطية يكون بعيداً عن نفسه لا يعرفها حق المعرفة فالانسان لم يُخلق للخطية ولكنه عندما يبدأ في التوبة والرجوع يكون بمثابة الذي يرجع إلي نفسه ..نفسه الحقيقية التي خُلقت علي صورة الله ومثاله " لاننا نحن عمله مخلوقين في المسيح يسوع لاعمال صالحة قد سبق الله فاعدها لكي نسلك فيها (اف 2 : 10)

التوبة واجبة علينا باعتبار مسئوليتنا لأننا قد أخطأنا بارادتنا

الرجوع إلي النفس هو أساس اصلاح النفس . والرجوع إلي النفس معناه استيقاظ الضمير

هذا هو بداية طريق الرجوع إلي الله ...أولاً ينبغي أن نرجع إلي أنفسنا ...من الواضح أن الابن الأصغر لم يعطه الشيطان فرصة للرجوع لنفسه فقد كان يلهيه في المال الكثير والعيش المسرف ...

الابن الضال مثل كل خاطئ وهو في وسط خطيته كل اهتمامه يكون منصباً علي جسده وكيف يشبع رغباته و شهواته وتكون الخطية فاصلاً وعائقاً حتي لا يستطيع الوصول إلي نفسه ...

الانسان عندما يخطئ لا ينفصل فقط عن الله وعن روحه القدوس بل أنه ينفصل أيضاً عن نفسه أي عن روحه الانسانية ويمكن أن يصل للدرجة التي لا تحدث فيه مقاومة بين الروح والجسد " لان الجسد يشتهي ضد الروح و الروح ضد الجسد و هذان يقاوم احدهما الاخر (غل 5 : 17)

بل تكون الغلبة كلها للجسد وتكون الروح أو النفس وكأنها انفصلت أو لا وجود لها ...

هذا بالتأكيد ما حدث مع الابن الضال مثلما يحدث معنا عندما نتمادي في الخطية فلا نحزن الروح فقط بل بسبب خطايانا الكثيرة نكون السبب في أن ينطفي الروح " و لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء (اف 4 : 30) ، " لا تطفئوا الروح (1تس 5 : 19)....

ولولا محبة الله وتدبيره للمجاعة لما أحس هذا الابن بما وصل إليه ولا رجع لنفسه ...وعلي الرغم من عدم فهم الابن الضال للمقصد من المجاعة وهو الرجوع للنفس ولحضن الآب وبالرغم من كبرياؤه وعناده فتركه لكي يذوق طعم العبودية للشيطان ..هكذا يفعل معنا الله عندما يرانا في عنادنا يتركنا لخطايانا وللشيطان الذي لا يرغب إلا في إذلالنا حتي عندما نحس بمدي ما وصلنا إلية من مذلة ومهانة نفكر ونرجع إلي أنفسنا ....تماماً كما حكم القديس بولس بسلطانه الكهنوتي علي خاطئ كورنثوس " ان يسلم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم الرب يسوع (1كو 5 : 5) بمعني آخر ليسلم للشيطان ليته يشعر ويحس بما وصل إليه فيتوب ويرجع إلي نفسه كما فعل الابن الشاطر الذي بعدماذاق طعم المذلة والعبودية للشيطان فقرر الرجوع إلي النفس وإلي حضن الآب ...

ولكن يتدرك إلي ذهني سؤال ...هل الشيطان قد ترك الابن الضال بهذه السهولة يرجع إلي حضن الآب أم وضع في وجهه كثيراً من المعوقات ولكي نتعرف علي هذه المعوقات وكيفية تخطيها يجب علينا أن ندخل في أعماق الشيطان لكي نسمع ما يمكن أن يبدره في ذهن الابن الضال حال تفكيره في الرجوع إلي نفسه وإلي حضن الآب ....

أول عائق يمكن للشيطان أن يضعه أمام الابن الضال ومن هو مثله هو تلك الكورة البعيدة والبعد المكاني الذي يرمز للبعد الروحي وصعوبة الرجوع ووعورة الطريق والوسيلة التي يمكنه أن يرجع من خلالها ...فالابن الضال في البداية كان يملك المال الذي ساعده علي السفر والذهاب إلي تلك الكورة البعيدة ولكن كيف هو الحال والمال قد ضاع وزال ...ليس كذلك فقط بل والجهد أيضاً قد ضعف بسبب الجوع الشديد وانهاك الجسد

ولكن الابن الشاطر لا بد وقد رد علي هذه الافكار الشيطانية أنه مهما يكن لا يمكن أن يكون ما هو أسوأ مما هو عليه في الوقت الراهن فليس هناك مانع من الجلوس مع النفس ربما هناك طريقة ما يمكنها أن تحسن من ذلك الوضع الراهن ...أما عن صعوبة ووعورة الطريق فقد أجاب الابن الشاطر قائلاً " صعوبة ووعورة الطريق لا يمكن أن تكون أكثر إذلالاً مما أنا فيه " ...

العائق الثاني الذي يمكنه قد واجه الابن الضال قبل الرجوع إلي نفسه وإلي حضن أبيه هو ما وصل إليه حاله من قذارة ورائحة نتنة من معاشرة الخنازير فلابد وقد تغير شكله كما تغير جوهره فكيف

يمكنه أن يظهر بهذه الصورة أمام أهل بلده وأمام أبيه الذي طلب منه نصيبه وأمام أخيه الذي من المؤكد أنه لن يرحمه ...

ولكن الابن الشاطر قد حول الحديث بدلاً عن ذلك إلي ما هو عليه من جوع وخزي وعار ...وما هو عليه أجراء بيت أبيه من شبع وعزاء ...ربما ذهب الابن الضال شارداً بما كان هو عليه وهو في بيت أبيه من نعيم ورغد من الحياة ...

الثالث من العوائق التي من الممكن إنها قد واجهت الابن الضال هو أنه أصبح لا يملك شيئاً لا في هذه الكورة البعيدة ولا في بيت أبيه فقد أخذ نصيبه من أبيه وأنفقه فهو ليس لديه عند أبيه أي شئ ..ولكن الابن الشاطر أجاب قائلاً " ليس المهم ما قد فقدته بل المهم إنني لن أسمح بالفقدان مرة أخري " ... وأن أعمل في بيت أبي أفضل بكثير من أعمل في حقول الخنازير ..أن أعمل كأجير عند أبي أفضل بكثير من أن أُستبعد للشياطين ...

المهم من كل ذلك أن الابن الشاطر استطاع أن يتغلب علي هذه العوائق ويجلس راجعاً إلي نفسه الذي هي بداية الطريق للتوبة والرجوع إلي حضن الآب

رجوع الإنسان إلى نفسه بمعني معرفة الانسان لنفسه أولاً ليكتشف فقره التام بل وموته، ثانياً يشعر بأبوة الله له ومحبته فلا يفقد رجاءه فإن رجوع الانسان الخاطئ لنفسه ومعرفته لها تتعلق بمعرفته لوجه الله الحقيقي ...

فالقدِّيس بطرس رجع إلى نفسه عندما تطلع الرب إليه، فخرج سمعان بطرس خارجًا يبكي بمرارة، لكن ليس بدون رجاء، أما يهوذا فندم مدركًا شره، لكنه إذ فقد رجاءه في المسيح مضى وشنق نفسه.

ويقول القديس أغسطينوس في رجوع الابن الضال إلي نفسه " إن كان قد رجع إلى نفسه، فلأنه كان قد ترك نفسه، إذ سقط عن نفسه وتركها، لذلك يرجع أولاً إلى نفسه، لكي يرجع إلى حالته الأولى التي سقط منها. إذ سقط عن نفسه سقط عن أبيه. إذ سقط عن نفسه انطلق إلى الأمور الخارجيَّة. الآن يعود إلى نفسه فيعود إلى أبيه حيث تكون نفسه في آمان تام .

كما يقول القديس أمبروسيوس أسقف ميلان " رجع إلى نفسه بعد أن ابتعد عنها، لأن الرجوع إلى الرب هو رجوع إلى النفس. فمن يبتعد عن المسيح يقاوم نفسه"

والبعض يفسر عبارة " ورجع إلي نفسه " بمعني أن حالة الخاطئ هي حالة جنون أو فقد للصواب والعقل . ويقينا لو كان الابن الضال لم يفقد صوابه وعقله لما فكر في ترك بيت أبيه ولا ذهب إلي

تلك الكورة البعيدة ...هكذا هو حال الانسان الخاطئ وكأنه فاقد لعقله لا يستطيع التفكير والتمييز لأنه لا يدري أنه يسير في طريق توصله إلي الضياع والهلاك ....كذلك الانسان الخاطئ كالمجنون في أن لا عطي لنفسه فرصة في التفكير في عواقب ونتائج أفعاله كل تفكيره منصباً فقط في نزواته وشهوات جسده ...

إذا تملك الشيطان علي النفس صار الانسان في حالة جنون كما كان حال المجنون الذي سكن فيه اللجيون ...فالخطاة كالمجانين ، يتلفون ويهلكون أنفسهم بالشهوات الجنونية الغبية ، وفي نفس الوقت يخدعون أنفسهم بالآمال الغبية ...كما أنهم مغيبون تماماً عن الحياة الروحية وعن شركتهم المجتمعية ...

(و قال كم من اجير لابي يفضل عنه الخبز)

عقد المقارنات من أهم المشجعات علي التوبة والرجوع إلي الله في جلسة الرجوع إلي النفس وإلي حضن الآب ...

لقد أمسك الابن الشاطر ميزاناً في يده ميزاناً وضع في إحدي كفتي الميزان العالم والمال والشهوة وأصدقاء السوء والزواني وأخيراً الجوع . ثم وضع في الكفة الأخري البيت ورعاية الآب ، والخدم والحشم والأكل الوفير ...

المقارنة الأولي بين حالتي الآن في الخطية وما كنت عليه قبل ذلك وأنا في بيت الآب بل في حضنه ...المقارنة بين حالة السلام والآمان السابقة وما أنا عليه من قلق واغتمام من ثقل الخطية ...المقارنة بين حالة الشبع والارتواء في بيت الآب وبين حالة الجوع والظمأ في حقول الشيطان ...المقارنة بين البنوة لله والعبودية للشيطان ...

هكذا يعلموننا الآباء أنه عندما نبتعد كثيراً عن حضن الآب يجب علينا الرجوع إلي نوتنا القديمة والتفتيش بها وما كنا عليه من نشاط روحي فيما سبق لكي تشعل فينا الغيرة والرجوع لسابق عهدنا ...

المقارنة الثانية هي المقارنة بين حالة الأجراء بل الخدام وما يتمتعون به في بيت الآب من حب وشبع وعزاء وحالتي الآن في وسط قسوة الشيطان ...تلك هي الغيرة التي قال عنها الرسول " حسنة هي الغيرة في الحسنى كل حين (غل 4 : 18) ...فمن أنواع الغيرة الحسنة هي تلك بأن أغار من الروحانيين لكي أسلك مسلكهم وأكون مثلهم ...

هناك فرق شديد بين بيت الآب الملئ بالفضل والخير والبركات وبين حقول الشيطان الذي ليس بها سوي الجوع والحرمان ...

ليتنا جميعاً نستيقظ من غفلتنا وتصحو فينا ضمائرنا .

أول علامة تدل علي بداءة التوبة فينا أن نتذكر ونشعر بنسبتنا إلي الله ومحبته لنا فهذه هي الشعلة التي تأخذ بيدنا وتغلب كل خطايانا رغم كثرتها وقذارتها "غير عالم ان لطف الله انما يقتادك الى التوبة (رو 2 : 4)

...فلولا الثقة في محبة الله كأب لنا لما استطاع أحد أن يقبل إلي التوبة خوفاً من الله وبشاعة خطاياه ...

ان الابن الضال ندما تذكر أبيه تذكره ليس كمن يحكم ويقضي بل كأب غني وكريم يطعم حتي عبيده ويريحهم

(و انا اهلك جوعا)

يعلق القديس يوحنا ذهبي الفم عن الهلاك جوعاً قائلاً "بعد أن عانى في كورة غريبة ما يستحقه الأشرار، فسقط تحت المصائب التي حلت به، أي الجوع والعوز، أحسّ بهلاكه، مدركًا أنه بإرادته ألقى بنفسه في أيدي الغرباء بعيدًا عن أبيه، فصار في منفى عوض بيته، وفي عوز عوض الغنى، وفي مجاعة عوض الخيرات والترف؛ هذا هو ما عناه بقوله: "وأنا أهلك جوعًا" .كأنه يقول: إني لست غريبًا بل ابن لأب صالح وأخ لأخ مطيع. أنا هو الحُر النبيل قد صرت أبأس من العبيد الأجراء، سقطت من الرتبة العاليَّة السامية إلى أحط درجة!"

من أهم المشجعات علي التوبة بجانب عقد المقارنات التفكير في الهلاك الأبدي ..فالخطية لا ينتج عنها سوي مجاعة أرضية ومأساة أبدية ..

يمكننا أن نقول أن الخوف من العقاب والهلاك الأبدي يكون نافعاً في أحياناً كثيرة علي التوبة في الجلسة الأولي والرجوع إلي النفس والتفكير في الرجوع إلي بيت الأب ..

ليتنا نفعل مثل الابن الشاطر ونجلس إلي أنفسنا ونفكر فيما توصلنا إليه خطيتنا وما ينتظر نا من هلاك أبدي إذا توانينا ولم نتوب ونرجع إلي حضن أبينا الذي ينتظرنا ...

يمكننا المقارنة أيضاً بين ما ينتظرنا نحن عقاباً لخطايانا وما ينتظر الأبرار ثواباً لبرهم وكينونتهم في حضن الآب ...ونعلم يقينا إننا بتوبتنا ورجوعنا إلي أنفسنا وارتمائنا في حضن الآب سوف ننقذ أنفسنا من هذا العقاب بل وسوف نستحق أيضاً جائزة الأبرار ...

يجب علينا التفكير ملياً في عواقب متابعة وجودنا في كنف الشيطان ونتأكد إننا كما كنا معه علي الأرض سوف نرافقه في بحيرة النار والكبريت حيث العذاب نهاراً وليلاً إلي أبد الأبدين

" و ابليس الذي كان يضلهم طرح في بحيرة النار و الكبريت حيث الوحش و النبي الكذاب و سيعذبون نهارا و ليلا الى ابد الابدين (رؤ 20 : 10)...بل وسوف لا تكون راحة نهاراً وليلاً لمن يستعبدون للشيطان وأعوانه " و يصعد دخان عذابهم الى ابد الابدين و لا تكون راحة نهارا و ليلا للذين يسجدون للوحش و لصورته و لكل من يقبل سمة اسمه (رؤ 14 : 11)...وسوف نعاني من قتام الظلام إلي الأبد " محفوظ لها قتام الظلام الى الابد (يه 1 : 13)..ولن يكونوا معذبين بل راحة فقط بل وسوف يكونوا مقيدين في قيود أبدية تحت الظلام "

و الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم بل تركوا مسكنهم حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود ابدية تحت الظلام (يه 1 : 6)...

ليتنا نتيقن أن من عواقب استمرارنا في الخطية وعدم توبتنا هو الهلاك الأبدي الذي لا ينتهي " الذين سيعاقبون بهلاك ابدي من وجه الرب و من مجد قوته (2تس 1 : 9)...وكما قال السيد المسيح " فيمضي هؤلاء الى عذاب ابدي و الابرار الى حياة ابدية (مت 25 : 46) ، " اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الابدية المعدة لابليس و ملائكته (مت 25 : 41) ..وكما يعترف القديس بولس الرسول عن الناس الأشرار الذين لا يتوبون "

" الذين سيعاقبون بهلاك ابدي من وجه الرب و من مجد قوته (2تس 1 : 9) ، " لانه حينما يقولون سلام و امان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون (1تس 5 : 3)

" الذين نهايتهم الهلاك الذين الههم بطنهم و مجدهم في خزيهم الذين يفتكرون في الارضيات (في 3 : 19)

ليس ذلك فقط يجب أن يتبصر الانسان الخاطئ فيما سوف يفقده نتيجة بقاؤه في الخطية في حقول الخنازير خادماً ومستعبداً للشياطين ...سوف يفقد أباه السماوي الذي يحبه إلي الأبد وعوضاً عن ذلك سوف يتحد بالشياطين ...سوف يفقد عشرة الملائكة بل كونه سوف يصبح مثلهم " لانهم في القيامة لا يزوجون و لا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله في السماء (مت 22 : 30) ..وبدلاً عن ذلك سوف يظلون بجوار الخنازير ....سوف يفقد الانسان الخاطئ الذي لا يتوب ويرجع كونه سيضئ كالشمس في ملكوت أبيه وبدلاً عن ذلك سوف يمكث في قتام الظلام وصرير الاسنان وصليل الزمهرير ...ناهيك عن تلك الثياب والحصاة البيضاء وعشرة القديسين ورؤيتهم ...

(اقوم)

من أهم عوامل نجاح التوبة والجلوس مع النفس عدم التأجيل أو التنفيذ المباشر للتوبة وهذا ما فعله الابن الشاطر فنراه لم يؤجل أو يماطل بل قال في الحال " أقوم وأذهب " ..
أن المقاصد الصالحة طيبة ولكن إتمامها الصالح هو أفضل كل شئ ...

كذلك نجد الابن الشاطر لم يصل إلي نصف الطريق فقط ولكنه استمر رغم التعب والمصاعب التي يمكن قد قابلته في الطريق ...لذا ليس المهم فقط أن نبدأ بل علينا الاستمرار في الطريق وعدم التخلي عن الجهاد ...
رغم أن ذلك الابن كان في كورة بعيدة ، بعيداً عن بيت أبيه بمسافة طويلة ، ولكنه قد قرر أن يعود مهما كانت المسافة بعيدة جداً ...
ورغم أنه قد ألتصق بواحد من أهل الكورة الذي يرمز للشيطان ولكنه لم يعسر عليه أن ينقض اتفاقه معه ..اننا لسنا مديونين للجسد لنعيش حسب الجسد (رو 8 : 12) ..من المهم أن ننفصل عن كل من التصقنا بهم نتيجة في الكورة البعيدة إن أردنا الرجوع والتوبة وهذا ما فعله الابن الشاطر
ويجب علينا نحن أيضاً أن لا نؤجل أو نسوف توبتنا فنحن لا نعلم ما يؤول إليه يومنا فيمكن أن يُقال لنا ما قُيل لذلك الغني الغبي " يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك (لو 12 : 20) لذلك فإننا نطلق علي الابن الضال لقب الابن الشاطر عكس ذلك الغني الذي لقبه الكتاب بالغباء لأن الابن الضال لم يؤجل توبته بل قام في الحال وذهب إلي بيت الآب .
سئل أحد الأخوة أب قائلاً : متي أتوب ؟ فعرف الشيخ نفسيته ورغبته في حياة العالم ، فقال له العب الآن وامل ما تشاء الآن ولكن في اليوم الذي يسبق مماتك تب . فابتهج الشاب ولكنه عاد يقول للقديس : ولكن بعد متي سآموت ؟ فقال القديس ألا تعرف يوم مماتك ؟ فقال لا . فقال إذن تب اليوم " ...ليتنا جميعاً نسمع تحذير السيد المسيح القائل " اسهروا اذا لانكم لا تعلمون متى ياتي رب البيت امساء ام نصف الليل ام صياح الديك ام صباحا "(مر 13 : 35) ،"اسهروا اذا لانكم لا تعلمون في اية ساعة ياتي ربكم (مت 24 : 42) ،" فاسهروا اذا لانكم لا تعرفون اليوم و لا الساعة التي ياتي فيها ابن الانسان (مت 25 : 13)

وثانيًا لا نؤجل لكي نجاهد بالحق، فإن كانت عطيَّة الله لكل داخلٍ ملكوته هي "الحياة الأبديَّة"، لكن "نجمًا يمتاز عن نجم في المجد" (1 كو 15: 41)، وكما يقول رب المجد نفسه: "في بيت أبي منازل كثيرة" (يو 14: 2).

لنقم الآن وننطلق نحو بيت أبينا السماوي مجاهدين كل لحظات غربتنا، لنقول بحق: "جاهدت الجهاد الحسن، أكملت السعي، حفظت الإيمان، وأخيرًا قد وُضع لي إكليل البرّ، الذي يهبه لي في ذلك اليوم الرب الديان العادل" (2 تي 4: 7-8).

قيام الابن الضال تعطينا إشارة إلي إن الخطية موت ونوم يحتاج للقيام ...فليت كل خاطئ يسمع النداء " استيقظ ايها النائم و قم من الاموات فيضيء لك المسيح (اف 5 : 14)

التوبة ليست عملاً سلبيًا خلاله يكتشف الإنسان ضعفاته بل وهلاكه التام، إنما هي عمل إيجابي فيه يقبل المؤمن مسيحه كسرّ قيامته وحياته، ليعيش كل أيام غربته مختبرًا الحياة الجديدة، منطلقًا من قوَّة إلى قوَّة، ومتمتعًا بمجد وراء مجدًا، ونعمة فوق نعمة... مشتاقًا أن يبلغ قياس قامة ملء المسيح (أف 4: 13)... التوبة هي تمتع عملي بالقيامة الدائمة.

والسيد المسيح بقيامته أعطي القوة للخطاة علي القيامة من موتهم الروحي بل ومعجزات السيد المسيح الثلاث الذين أقامهم من الموت تعطي إشارة لقدرته علي الإقامة من موت الخطية مهما كانت الظروف والأحوال ..

ولكن للإنسان دور في القيام فعليه أن يبدأ كما فعل الابن الشاطر ويقوم ويذهب وسوف يري الاحضان مفتوحة والعجل المسمن مذبوحاً والحذاء مفررشاً والخاتم مصوناً ...

(اذهب الى ابي)

يجب علي من يرغب في التوبة أن يذهب ويمضي ...يذهب من مكان الخطية ...يذهب راجعاً من الكورة البعيدة ...يجب أن يذهب عن كل الوسائل التي تجذبه إلي الخطية ...يجب عليه تغيير الإتجاه والذهاب إلي الآب بالصلاة والاعتراف وعدم الاستحقاق والذهاب إلي بيت الأب أي الكنيسة والتناول من العجل المسمن أي جسد الرب ودمه الكريمين مع لبس الحذاء والبعد به عن الأرضيات والارتقاء إلي السمائيات بقراءة الانجيل والبشارة به كما قال بولس الرسول " و حاذين ارجلكم باستعداد انجيل السلام (اف 6 : 15)...

لذا سوف نبحث خطوات التوبة والرجوع التي يجب علي كل إنسان أن يفعلها متعلمين ذلك من الابن الشاطر أو الضال :

الخطوة الأولي هو الجلوس مع النفس ومحاسبتها علي ما فعلته من أخطاء مع عدم تبرير للذات والأهواء ...في هذه الجلسة يجب التمييز في أي مكان نحن فيه وإلي أي جهة متجهين مع عقد النية علي تغيير الإتجاه إن كنا مخطئين

الخطوة الثانية هي الخطوة الإيجابية وهي القيام والذهاب إلي الآب وبيته والاعتراف في حضور الخدام والتقدم إلي الوليمة السمائية حيث العجل المسمن والخاتم والحذاء ...

" و اقول له يا ابي اخطات "

في القانون العام الاعتراف سيد الإدلة ولكن في الكنيسة وعند الله وفي السماء فالاعتراف سيد البراءة كما قال الرسول يوحنا الحبيب " ان اعترفنا بخطايانا فهو امين و عادل حتى يغفر لنا خطايانا و يطهرنا من كل اثم (1يو 1 : 9)

هذا يفكرني باعتراف العشار الذي خرج مبرراً دون الفريسي الذي لم يجد له سيئات يعترف بها فأدان العشار ووقع في الكبرياء وتعداد فضائله من صلاة وصوم وعشور ...

الله يريد من كل خاطئ أن يتكلم معه ويتحاجج بالصلاة والاعتراف فهو قد نادي ووعد منذ القديم " هلم نتحاجج يقول الرب ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج ان كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف (اش 1 : 18)

نري أن الابن رغم خطيته وضلاله إلا أنه لم يُحرج من أن يقرر أن يقول لأبيه " يا أبي " ..وهذا يعلمنا أنه لمن أكبر المشجعات علي التوبة والرجوع إلي الله هو النظر إلي الله كأب فإن هذا يعيننا جداً علي التوبة والرجوع ...فأبوة الله لنا تشجعنا علي أن نطلب الغفران ...والله يسر بأن ندعوه أبا حتي ولو كنا خاطئين نريد التوبة والعفو والسماح ...هكذا فأن السيد المسيح عندما أراد أن يعلم تلاميذه الصلاة قال لهم " فقال لهم متى صليتم فقولوا ابانا الذي في السماوات ...اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن لكل من أساء إلينا (لو 11 : 2).وهذا لمة يستطيع فعله الابن الأكبر فم نراه يقول لأبيه " يا أبي " ولكنه كان يعتبر نفسه في منزلة الاجير الذي ينتظر أجرته ...كذلك لم يغفر لأخيه ...

وها هوذا بعض تعليقات الآباء علي أعتراف الابن الضال وأهميته

"لنتعلم كيف نتضرع إلى الآب. قال: "يا أبي"! يا لرحمة الله وعطفه! فمع أنه قد أسيء إليه لكنه لا يرفض مناداته "يا أبي".

"أخطأت إلى السماء وقدامك". وهذا هو الاعتراف الأول... قدام سيد الرحمة، أمام ديان الخطيَّة. الله يعرف كل شيء، لكنه ينتظر الإقرار بالاعتراف، "لأن الفم يعترف به للخلاص" (رو 10: 10).

عندما يلوم الإنسان نفسه يخفف ثقل ضلاله، ويقطع عنه حدة الاتهام... إنك لا تخسر شيئًا عندما تعترف بما معروف لديه.

لتقر بخطاياك فيشفع فيك المسيح لأنه هو شفيعنا لدى الآب (1 يو 2: 21).

لتصلِ أيضًا الكنيسة لأجلك، ولتبكِ الجموع عليك، ولا ترتاب فإنك ستأخذ. الشفيع يعدك بالغفران، وصاحب الكرم بالنعمة، والدفاع يؤكد مصالحتك مع العطف الأبوي.

ثق أن هذه حقيقة واسترح، لأن الله قوَّة! يهمه أن يشفع فيك حتى لا يكون قد مات لأجلك باطلاً. والآب يهمه أن يغفر، "لأنه إن كان بالناموس برّ، فالمسيح إذاً مات بلا سبب" (غل 2: 21).

"يا أبي أخطأت في السماء وقدامك" الخطيَّة تسيء إلى مواهب الروح السماوي، إذ كان ينبغي بالإنسان ألا ينحرف عن أحشاء هذه الأم "أورشليم" التي هي السماء.

يقول: "لست مستحقًا أن أدعى لك أبنًا"، إذ يليق بالساقط ألا يتكبر بل يرجع متضعًا "

القدِّيس أمبروسيوس

" هذه الكلمات تخص من يفكر في التوبة معترفًا بخطاياه، لكنه لم يستخدمها بعد.

أنه لا يتحدَّث الآن مع أبيه، إنما يعد بما ينطق به عندما يأتي إلى أبيه. لنفهم "المجيء إلى الآب" يعني الإقامة في الكنيسة بالإيمان، حيث نمارس فيها الاعتراف بالخطايا بطريقة قانونية فعّالة "

القدِّيس أغسطينوس

" كان يوجه الحديث لنفسه، ولكنه لا يكفي الحديث ما لم يأتِ إلى الأب. أين يبحث عنه؟ أين يجده؟ قم أسرع إلى الكنيسة لتجد هناك الأب، هناك الابن، هناك الروح القدس. الأب ينصت إليك، وأنت تتحدَّث في داخلك، ويسرع لمقابلتك[647].

القدِّيس أمبروسيوس

(الى السماء و قدامك)

هنا يعرفنا الابن الشاطر أن الخطية ليست موجهة ضد أنفسنا فقط بل ضد الله والملائكة والسماء أي ضد القداسة

الكنيسة هي السماء المنظورة وعندما يخطأ أحد يكون قد أخطأ إليها وسبب حزن لها لذا وجب عليه الاعتراف والاعتذار وطلب الحل والسماح منها وذلك بعد أن يعترف أمام الله الذي أخطأ أمامه ...

لو عرف وتيقن وآمن الابن الضال بوجود الله أمامه قبل السقوط والجحود لما كان قد وقع في الخطية ...ليتنا نضع الله أمامنا في كل حين وفي كل ظرف إما لتحذيرنا من الوقوع والسقوط وإما لطلب المعونة والصمود وإما للندم والرجوع .

(و لست مستحقا أن أدعي لك أبناً)

عامل مهم من عوامل قبول الله لتوبتنا واعترافنا ليس التواضع لأنه من أي علو يتواضع الانسان الخاطئ ولكن الشعور بعدم الاستحقاق لأي شئ ...عدم الاستحقاق للبنوة لله بل حتي عدم الاستحقاق لأن يكون أجيراً عند الله ...في الماضي عندما كان الابن في بيت أبيه يملك البنوة وكل ما لأبيه كان يشعر بالاستحقاق والنصيب من المال فجر عليه ذلك الكثير من المخاطر والاهوال ...ولكن الآن وهو في الكورة البعيدة بعد أن أُهين وجاع وأنفق كل شئ شعر بعدم الاستحقاق فاستحق حضن أبيه قبل الحرية والبنوة والحذاء ...

ليتنا نشعر دائماً بعدم الاستحقاق وإننا لا نملك شيئاً يمكن أن نطالب الله به مع الشعور بفضل الله فنتشرف بأبوته ونشكر له وجودنا في بيعته والسماح بالعمل في حقله ...

من المؤكد أن الابن الضال تذكر في جلسته مع الله ورجوعه إلي نفسه ...تذكر أبيه داود النبي وكيف تاب ورجع إلي الله حيث قال " ذبائح الله هي روح منكسرة القلب المنكسر و المنسحق يا الله لا تحتقره (مز 51 : 17)

ليتنا نشعر بعدم استحقاقنا للوجود في بيت أبينا ولا الخدمة في حقوله ولا المثول أمامه ..في العموم لا نشعر بالاستحقاق لأن نملك شيئاً بل نعلم تمام العلم أن الله أو أبينا هو المالك لكل شئ فهو الذي خلقنا من ا لعدم واشترانا بدمه وهو الذي أعطانا ما يظنه البعض أنه ملكاً لهم ...

ليتنا نعلم أن بنوتنا لله أبينا هي فضل منه لدينا وإننا لسنا مستحقين لهذه البنوة بأي شكل من الأشكال ويجب علينا أن نسير بموجبها بأن نعطي الكرامة لأبينا ولا نسبب له أي مهانة أو عاراً بسبب خطايانا ...يجب علينا أن نعرف أن كون الله أبينا لا يمنع أنه سيد ورب وإلهاً لنا له هيبته ومخافته ولنضع أمام أعيننا دائماً عتاب الله لشعبه في العهد القديم " الابن يكرم اباه و العبد يكرم سيده فان كنت انا ابا فاين كرامتي و ان كنت سيدا فاين هيبتي (ملا 1 : 6)

من الجميل أن الابن الشاطر رغم خطاياه وآثامه ورغم ما وصل إليه حاله من مذلة واحتقار لم ينس ولم يخجل من بنوته لأبيه لأن أقوي شئ يشجعنا علي التوبة والرجوع هو الثقة في محبة الله لنا كأب مع أبنائه " كما يتراف الاب على البنين يتراف الرب على خائفيه (مز 103 : 13)...

ومما لا شك فيه إن الابن بعد ما ضل وضاع وأراد الرجوع ابتدأ يخاف أبيه ...يخاف من المقابلة معه وكيف يعاقبه علي أفعاله ....يخاف من معاتبة أبيه علي تبذيره لماله وما لحق العائلة من العار من تحت رأسه ...

هذه المخافة يمكنها أن تكون عائقاً يمنعنا من التوبة والرجوع ويمكنها أيضاً أن تكون دافعاً وعاملاً يجلب عطف الأب علينا ...

(اجعلني كاحد اجراك)

هذه العبارة لم يدعه الأب أن يقولها أمامه بعد رجوعه بل ارجع له بنوته وأمر خدامه بذبح العجل المسمن وتجهيز الحذاء وإحضار الخاتم الذي يليق بالابناء ..

(5) الرجوع إلي حضن الآب .

فقام و جاء الى ابيه و اذ كان لم يزل بعيدا راه ابوه فتحنن و ركض و وقع على عنقه و قبله. فقال له الابن يا ابي اخطات الى السماء و قدامك و لست مستحقا بعد ان ادعى لك ابنا. (ع 20 ، 21)

(فقام و جاء الى ابيه)

نجد في هذا المثل السرعة الشديدة في التوبة والرجوع ، فالابن عندما جلس إلي نفسه وقرر الرجوع إليها وإلي بيت أبيه قام بالتنفيذ مباشرة بعد هذه الجلسة وكأنه سمع قول القديس بولس الرسول " لانه يقول في وقت مقبول سمعتك و في يوم خلاص اعنتك هوذا الان وقت مقبول هوذا الان يوم خلاص " (2كو 6 : 2)...وساعده علي ذلك محبة أبيه المختبرة ...ربما لا نعرف متي جلس ذلك الابن إلي نفسه أفي الصباح قبل أن يخرج إلي حقول الخنازير أم في ساعة الراحة في النهار إن كان هناك وقت للراحة في الخطية أم في الليل في آخر النهار بعدما انتهي من عمله ...علي أي الأحوال أن هذا الابن الشاطر لم يمنعه أي عارض من رغبته في الرجوع سواء كان حر النهار في فلسطين أو ظلمة الليل ...إن ما شجعه حقاً علي الرجوع هو ثقته في محبة أبيه كذلك ما وصل إليه حاله في تلك الكورة البعيدة ...

إن كان الابن الشارد قد سافر إلى كورة بعيدة من أجل ما حسبه تمتعًا بالحريَّة الشخصيَّة، والشهوات الإباحية ، فإنه أن رجع بقلبه إلى بيت أبيه أدرك أن المسافة مهما طالت بينه وبين أبيه لا تمثل عائقًا. جذبته أبوة أبيه، وسحبت ذهنه ليجد طريق العودة ليس طويلاً ولا مستحيلاً، فقام منطلقًا أيضًا بالعمل، سائرًا نحو أبيه، وكأنه يسمع صوت زكريا النبي: "هكذا قال رب الجنود: ارجعوا إليّ يقول رب الجنود، فأرجع إليكم يقول رب الجنود" (زك 1: 3).

وفي هذا يقول القديس يوحنا ذهبي الفم " لنعمل أيضًا، حتى وإن كنا خارج الحدودَ لنرتفع إلى بيت أبينا، ولا نتوانى خلال الرحلة. إن أردنا فسيكون الرجوع سريعًا وسهلاً جدًا. فقط علينا أن نترك الكورة الغريبة التي هي الخطيَّة، لنتركها حتى نرجع سريعًا إلى بيت أبينا... قد يقول قائل: كيف أرجع؟ فقط ابتدئ بالعمل، فيتحقَّق كل شيء "

(و اذ كان لم يزل بعيدا راه ابوه فتحنن)

هذا المثل قد رواه السيد المسيح بنفسه وهو الله الكلمة المتجسد الاقنوم الثاني الذي هو في حضن الآب " الله لم يره احد قط الابن الوحيد الذي هو في حضن الاب هو خبر (يو 1 : 18)...لذا فالكلام الذي يرويه عن الآب كلام مؤكد ...لذا يعتبر هذا المثل وعد صريح ومؤكد بأحضان الآب المفتوحة لكل خاطئ في كل زمان وعصر ومهما كانت ظروف ذلك الخاطئ ومهما بعد ...

كذلك هذا المثل تأكيداً لأبوة الله ليس فقط ونحن في بيت الآب ولكن حتي عندما نضل ونتوه في تلك الكورة البعيدة بشرط أن نرجع ونتوب ...

ضف علي ذلك أن السيد المسيح الذي ضرب هذا المثل هو الشفيع الذي يشفع في الخطاة ليس ذلك فقط بل هو واحد مع الآب وهو الكفارة عن خطايانا " يا اولادي اكتب اليكم هذا لكي لا تخطئوا و ان اخطا احد فلنا شفيع عند الاب يسوع المسيح البار ، و هو كفارة لخطايانا ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم ايضا (1يو 2 : 1 ، 2)...

فهذا المثل من أعظم الأمثلة الذي يعطي رجاءا كبيراً لكل الخطاة في كل العصور بشرط أن يتوبوا ويرجعوا إلي أنفسهم وإلي بيت أبيهم معترفين بخطاياهم معترفين بأنهم غير مستحقين ...

(إذ كان لم يزل بعيداً)

الله يريد منا خطوة لكي يكمل هو كل شئ كما تقول لنا الترنيمة " تمشي له خطوة يمشي اثنين " ، ولو كانت هذه الخطوة هي رجوع إلي النفس وعقد النية علي التوبة والرجوع ...

العبارة السابقة تدل علي ترقب الأب رجوع ابنه منذ اللحظة الأولي التي غادر فيها ابنه المنزل . ولم يهدأ له بال ، وولم تغمض له عين طالما كان ابنه بعيداً عن أحضانه .

فلنرجع إلي الله فهو يترقب رجوعنا وعودتنا ، وعندما نلاجع إليه سوف نري القلب الكبير الرحيم يرحب بنا .

هل من الممكن أن يكون قد نسي الأب ابنه الذي ضل ؟! بالتأكيد لا يمكن ذلك بدليل إنه كان مترقباً مجيئه ...ونحن لا نعلم هل سمع الأب بمجئ ابنه أم قد رآه من فوق سطح المنزل حيث كان

منتظراً إياه منذ أن ترك الابن الأصغر المنزل ...وإين كان الابن الأصغر عندما قابله الأب راكضاً هل كان قريباً من البيت أم كان في مدخل البلد خائفاً أو قلقاً أو متردداً من الدخول وكيفية مواجهة أهل البلد وكيف سوف يقابلوه ...

والأب ذو الهيبة والوقار كيف رضي عن نفسه وهو يركض هكذا وسط الناس من أجل ابن عاق وقاس ؟! سوف يكون الرد وكيف قبل الإله أن يحمل صليب العار ماراً بأورشليم محتملاً الكثير من المذلة والعار وهذا من أجلنا نحن الخطاة ...

من المؤكد الكثير منا سوف يقول أن هذا الموقف النبيل من الأب قد حفظه الابن الصغير فقرر ألا يخون أبيه فيما بعد ولن يضل مرة أخري ويضيع ...ولكن فليسأل كل منا نفسه أليس هذا ما فعله السيد المسيح مع كل الخطاة في كل العصور وكيف سامحنا علي الصليب غير حاسب لنا خطايانا " اي ان الله كان في المسيح مصالحا العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم و واضعا فينا كلمة المصالحة (2كو 5 : 19) ..وكيف إننا لم نكف عن معصية الله والبعد عن وصاياه وترك البيت والرعي في حقول الخنازير ...

ليتنا نتفهم محبة الله لنا وكيف أنه يريد أن نبادله نحن الضعفاء غير المستحقين ذلك الحب وكم من المرات غفر لنا لكي نحبه كثيراً كما يقول الكتاب في قصة الخاطئة في بيت سمعان " من اجل ذلك اقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لانها احبت كثيرا و الذي يغفر له قليل يحب قليلا (لو 7 : 47)..المحبة هي المقياس للمغفرة فعلي قدر محبتنا الله فهو مستعد أن يغفر لنا ويجب علينا أن نحب الله بقدر ما يغفر لنا ...

الله ليس فقط ينتظرنا حتي نعود ويركض إلينا بل أنه يسعي إلينا جاهداً حتي إن لم نفكر نحن في خلاص أنفسنا وهذا ما فعله السيد المسيح بالتجسد فعندما رأي الله الانسان قد ذهب بعيداً جداً ولم يريد الرجوع نزل هو إليه فاتحاً له ذراعيه علي عود الصليب لكي يقبل إليه من يريد ويرغب آتياً إليه ...وهذا ما حدث مع الابن الضال فالله لم يتركه وحيداً في الكورة البعيدة بل جلب المجاعة علي تلك الكورة لكي يشعر الابن ويرجع ولكن الابن أصر علي العناد والمكابرة ولم يتركه الله بل بعث إليه روحه القدوس لكي يؤنبه ويحثه علي الجلوس مع النفس وعلي الرجوع ....

وليعلم كل إنسان خاطئ أن الله لم ولن يتركه ولكن عليه أن يتقبل ما يفعله معه الرب وعليه أن يترك الخطية تلك الكورة البعيدة التي لا يمكن أن تكون بينها وبين الله شراكة " لا تكونوا تحت نير مع

غير المؤمنين لانه اية خلطة للبر و الاثم و اية شركة للنور مع الظلمة ،و اي اتفاق للمسيح مع بليعال و اي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن (2كو 6 : 14 ، 15)

(راه ابوه فتحنن)..

هذا المثل درساً جميلاً ورائعاً للآباء الذين يتمرد ابناءهم عليهم ويتوبون ويرجعون خاضعين حتي لا يقسوا عليهم بل يعاملوهم بالحكمة النازلة من فوق التي قال عنها يعقوب الرسول " و اما الحكمة التي من فوق فهي اولا طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوة رحمة و اثمارا صالحة "(يع 3 : 17)...يجب أن يتمثلوا بالله كما أوصاهم الكتاب المقدس " فكونوا رحماء كما ان اباكم ايضا رحيم (لو 6 : 36)....

وبالمثل هذا درساً للقادة والخدام وكل البشر لكي لا يقسو علي الخطاة والضالين الذين يطلبون العودة والرجوع وكيف يجب أن نعاملهم بتحنن ورأفة وحب ...

الأب في محبته وتحننه نراه يُظهر عطفه وتحننه قبل أن يعلن الابن توبته ...فهو يجيب قبل أن ندعو كما قال داود النبي في مزاميره " قلت اعترف للرب بذنبي و انت رفعت اثام خطيتي (مز 32 : 5)...

هذه المقابلة التي قابل الأب بها ابنه تشير إلي رغبة الله في قبول توبة الخطاة واستعداده للترحيب بهم وهو يري وينظر إلي الضالين عنه منتظراً رجوعهم إليه ...

أن بؤس الخاطئ وتواضعه وإحساسه بضعفه كثيراً ما يحنن قلب الله علينا ...ربما أن الأب رأي ابنه من بعيد وهو علي تلك الحالة من الرثاء وملابسه ممزقة ووجهه شاحب اللون كان ذلك من أسباب تحنن الأب عليه وعدم معاتبته علي ما قام به ...

كما نري الأب وهو لم يسأل ابنه أين كان وأين أمواله وكيف أضاعها ، فالأب لم يكن يهمه ماله بقدر ما كان يهمه حالة ابنه ..

(و ركض و وقع على عنقه و قبله)

ركض بمعني أسرع وهذه تدل علي أن الله سريع في أن يرحم فقد كان الابن الضال يسير ببطء تحت ثقل الخجل والخوف ، أما الأب الحنون فقد أسرع ليقابله كيما يشجعه ...

أن يركض رجل مسن كان عند اليهود أمراً مستهجناً ، حتي في حال الاستعجال ...

المقابلة التي حدثت بين الأب والابن الضال في هذا المثل تشبه تماماً المقابلة التي حدثت بين أبينا يعقوب وابنه يوسف بعد زمان طويل من ضياعه وبعاده عنه فقد كتب سفر التكوين عن أبينا

يعقوب مثلما تكلم السيد المسيح عن ما فعله الأب " وقع على عنقه و بكى على عنقه زمانا (تك 46 : 29)

كذلك يتشابه هذا الموقف مع موقف السامري الصالح في المثل الذي قصه السيد المسيح في الاصحاح العاشر من نفس إنجيل مار معلمنا لوقا الذي ذكر مثل الابن الضال ...فالابن الضال مشابه تماماً لذلك الذي وقع بين اللصوص فعروه وجرحوه وتركوه بين حي وميت وما الأب في مثل الابن الضال سوي ذلك السامري الصالح الذي نزل عن دابته وضمد جراحات ابنه بزيت محبته

الله لا يرفضنا نهائياً مهما وصلت حالتنا في الخطية وهذا ما أراد السيد المسيح توصيله إلينا فرغم قذارة الابن ورائحته الكريهة التي وصل بها لأبيه نجد الأب لم يستنكف في أن يحتضن ابنه ويقبله ...كذلك الله في محبته لا يستنكف من الخطاة الضالين الراغبين في التوبة والرجوع مهما كانت خطاياهم ومهما ضلوا وضاعوا ..المهم عند الله هو أن يرانا تائبين وراجعين ومعترفين ..المهم هو أن يرانا أمامه وفي حضنه ...

الأب قد وقع علي عنق ابنه ليفكه من رباطات الخطية التي قد ربط بها نفسه ...وبماذا يفكها ؟! بالحب ..فلا يوجد شئ يمكن أن يفك الانسان الخاطئ من نير الخطية ومن الذاتية والأنانية سوي الحب

القبلة كانت علامة الغفران ...هكذا قديماً قبل داود الملك ابنه المتمرد أبشالوم (2 مل 14 : 33) القبلة التي قبل الأب بها ابنه لم تعلن فقط علي الترحيب به بل وختمت علي صفحه وغفرانه عنه ..وهذه القبلة تبين مقدار استعداد وتلهف الرب يسوع علي قبول الخطاة التائبين الراجعين إليه والترحيب بهم ...

وها بعض تعليقات الآباء في كيفية استقبال الأب لابنه فور رجوعه وتوبته :

" ينصت الآب إليك وأنت تتكلم في داخل نفسك، ويسرع لمقابلتك. عندما تكون لا تزال بعيدًا يراك ويركض. إنه ينظر ما في داخل قلبك، ويُسرع حتى لا يؤخرك أحد، بل ويحتضنك.

"مقابلته لك" هي سبق معرفته، و"احتضانه لك" هو إعلان رحمته، وتعبير عن حبه الأبوي.

يقع على عنقك لكي يقيمك أنت الساقط تحت ثقل الخطايا، ولكي يرجعك إلى السماء إذ اتجهت إلى الأرض، فتطلب خالقك. يقع المسيح على عنقك، لكي يخلص عنقك من نير العبوديَّة، فيحملك نيره الهين (مت 11: 30)...

يقع على عنقك بقوله: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم، احملوا نيري عليكم" (مت 11: 28). هكذا يحتضنك الرب عندما تتوب "

القدِّيس أمبروسيوس

" ماذا يعني: "ركض"؟ إلا أنه بسبب عائق خطايانا لا نستطيع نحن أن نبلغ إلى الله خلال فضيلتنا، لكن الله نفسه قادر أن يأتي للضعيف لذا يقع على عنقه.

يُقبل الفمّ، أي يتقبل الآب بفرح ذاك الذي يعترف (بفمه) نادمًا من قلبه "

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

" إذ يركض يقع على عنقه، لأن الآب لا يترك ابنه الوحيد الجنس الذي يجري دومًا نحونا نحن الذين ضللنا طويلاً. "الله كان في المسيح مصالحًا العالم لنفسه" (2 كو 5: 19).

إنه يقع على عنقه، ينحني ليحتضن بذراعه، أي بالرب يسوع المسيح.

إذ يتعزى (التائب) بكلمة نعمة الله الواهبة رجاء غفران الخطايا هذا يتّحقَّق بقبلة الحب النابعة عن الأب عند الرجوع إليه في رحلة طويلة...

لم يقل: "اجعلني كأحد أجراءك"، لأنه عندما كان في عوز إلى خبز اشتاق أن يكون ولو عبدًا أجيرًا، لكنه إذ تقّبل القبلة من أبيه بنبلٍ كفّ عن ذلك "

القدِّيس أغسطينوس

(فقال له الابن يا ابي اخطات الى السماء و قدامك)

رغم ركوض الأب ووقوعه علي عنق ابنه وتقبيله صافحاً عنه وغافراً آثامه إلا أن هذا لم يمنع الابن عن الاعتراف بأخطائه ...كما يجب علينا نحن أيضاً أن لا نقابل عطف الله ومحبته بكبرياء وتعالٍ بل نقابله باتضاع واعتراف بفضله الغافر لخطايانا ...ان محبة الله يجب أن يكون دافعاً للاعتراف بالخطأ لا بالاستهانة بحبه وحنانه ...ويجب علي الذين نالوا الصفح عن خطاياهم والشعور المريح بمغفرة خطاياهم ...يجب عليهم أن يمتلئ قلبهم بالندم عنها بإخلاص وأن يحزنوا لما سببوه من ألم لقلب الله المحب ...داود النبي رغم سماعه الحل والغفران من ناثان النبي إلا أنه قد ترنم بالمزمور الخمسين الملئ بالاعتراف والتوبة ...يجب أن نضع خطايانا أما م أعيننا دائما وحتي ولو غُفرت لنا حتي نتضع ونعلم دائما كم أن الله يحبنا فنظل خاضعين له حافظين لوصاياه ...كما أن تذكر خطايانا علي الدوام يجعلنا نقوم علي الدوام بالمقارنة بين ما نحن فيه في بيت أبينا وما كنا عليه في تلك الكورة البعيدة فلا نفكر مطلقاً في الضلال والضياع مرة أخري ...

السماء هنا تعني الملائكة والقديسين المنتقلين أي الكنيسة المنتصرة كما تعني القديسين والمؤمنين غير المنتقلين أي الكنيسة المجاهدة ..وهذا يرينا أن الخطية غير موجهة فقط ضد النفس الخاطئة ولا حتي ضد الله ولكنها موجهة أيضاً ضد الكنيسة ...فالخطية كما تُحزن قلب الله كذلك تُحزن الكنيسة ...فالكنيسة كجسد واحد فما هو مقدار الألم عندما تري عضواً بها يفسد ويتلف ويضيع ...

وفي هذا يقول القديس امبروسيوس " "يا أبي أخطأت في السماء وقدامك" الخطيَّة تسيء إلى مواهب الروح السماوي، إذ كان ينبغي بالإنسان ألا ينحرف عن أحشاء هذه الأم "أورشليم" التي هي السماء ، كان يوجه الحديث لنفسه، ولكنه لا يكفي الحديث ما لم يأتِ إلى الأب. أين يبحث عنه؟ أين يجده؟ قم أسرع إلى الكنيسة لتجد هناك الأب، هناك الابن، هناك الروح القدس. الأب ينصت إليك، وأنت تتحدَّث في داخلك، ويسرع لمقابلتك "

ويؤكد ذلك القديس أغسطينوس " لنفهم "المجيء إلى الآب" يعني الإقامة في الكنيسة بالإيمان، حيث نمارس فيها الاعتراف بالخطايا بطريقة قانونية فعّالة "

ويتأمل القديس امبروسيوس أيضاً في اعتراف الابن الشاطر قائلاً " الله يعرف كل شيء، لكنه ينتظر الإقرار بالاعتراف، "لأن الفم يعترف به للخلاص" (رو 10: 10). عندما يلوم الإنسان نفسه يخفف ثقل ضلاله، ويقطع عنه حدة الاتهام... إنك لا تخسر شيئًا عندما تعترف بما معروف لديه "

وإن أردنا القياس فها هوذا بيت الآب عندما ضل الابن وضاع وذهب إلي الكورة البعيدة فيا تري ما هو مقدار الحزن والأسي الذي عاني منهما الأب والخدام ؟!

لذا وجب علي الخاطئ أن يعترف ويعتذر من السماء أي الكنيسة كما يعترف ويعتذر من الآب ..

كما نلاحظ أن الخطية التي نفعلها كانت أمام الله القدوس الذي لا يخلو منه مكان ورغم بشاعة الخطية وقذارتها ورغم قدسية الله وطهارته المطلقة التي ترفض الخطية إلا أنه لا يستر ويصبر علينا فقط بل ويقبلنا إليه إن رجعنا وتبنا ...

لا أظن أنه يمكن أن تكون هناك عبارات يمكن أن تعبر عن حب الله الانسان فهاهوذا نراه يتغاضي عن قدسيته وحقه حباً بنا ...

علينا أن نطلب رحمة الله حين نرجع إليه فيقبلنا ، فقد تبين من عبارة الابن مدي الانسحاق الذي وصل إليه إن الابن الضال قد اختلف تماماً فأين هذه الكلمات المنسحقة من عبارته المتعجرفة في البداية بطلبه لنصيبه الذي كان لا يحق له .

(و لست مستحقا بعد ان ادعى لك ابنا)

يقول القديس امبروسيوس "لست مستحقًا أن أدعى لك أبنًا"، إذ يليق بالساقط ألا يتكبر بل يرجع متضعًا "

الشعور دائماً بعدم استحقاقنا يجلب علينا رحمة الله وتعطفه كما حدث مع ذلك العشار الذي كان يشعر بأنه غير مستحق أن يرفع عينيه نحو السماء فخرج مبرراً دون ذلك الفريسي الذي كانت رأسه تعلو السماء ...

ليتنا نحافظ علي الشعور بعدم الاستحقاق مهما غفر لنا الرب خطايانا ومهما خطونا في حياة التوبة والنقاوة وذلك بأن تكون خطايانا التي غفرها لنا الرب كسور وحصن نتحصن بها ضد هجمات الكبرياء ..

العبارة كما قررها الابن وهو في الكورة البعيدة ناقصة ولا يمكن أن يكون قد نسيها أو خجل أن ينطق به ....هل منعه الآب عنها ...أم أنه خجل أن يقولها بعدما رأي حفاوة أبيه له ...

الأقرب إلي الواقع أن أبيه قد منعه ولعله قال له " اسكت يا بني ،ولا تتحدث عن حقارتك ، فإننا نرحب بك من كل قلوبنا " إن الآب قد منع ابنه بتكميل كلامه بالفعل لا بالقول عندما أمر خدامه بإحضار الخاتم والحذاء وذبح العجل المسمن ...

كما قلنا من قبل أننا لم نجد في هذه المقابلة أي كلمة توبيخ وهذا ما كان خائفاً منه الابن الضال . ولكن لم يحدث ذلك بل علي العكس تماماً وهذا الأمر يشير إلي أن الله عندما يغفر خطايا التائبين المعترفين الحقيقين فأنه ينساها ولا يعود يذكرها كما وعد الرب في سفر حزقيال النبي للخاطئ الذي يتوب ويرجع عن خطاياه " كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه في بره الذي عمل يحيا (حز 18 : 22)

كانت توبة الابن المصحوبة بالاعتراف كافية لرد اعتبار ه ككابن في بيت أبيه وكانت التوبة مع الاعتراف سر من الأسرار المقدسة التي يحصل بموجبها الانسان الخاطئ علي غفرلن خطاياه ...أليس مثل الابن الضال تأكيداً لحقيقة الاعتراف بالكنيسة ؟! وما الذي ينبغي علي كل خاطئ فعله ؟! وفي هذا يعلق القديسين اغريغوريوس وأغسطينوس علي أهمية سر الاعتراف عندما تأملوا في قصة سقوط أبينا أدم فنجدهما يقولان " إن الله سأل الإنسان الأول والمرأة الأولي قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه . وذلك لكي يقدم لهما سبباً للاقرار بذنبهما فينالا الغفران باعترافهما الذليل الوضيع

. ألم يقل السيد المسيح لتلاميذه : " الحق اقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطا في السماء و كل ما تحلونه على الارض يكون محلولا في السماء (مت 18 : 18)

إذا كانت التوبة والاعتراف واجبة علينا ولكن الله لم يفوض لنا أن نعين له كيف يقبلنا وأي مقام يتعين لنا في بيته هكذا نري الأب لم يدع ابنه يكمل عبارته بأن يجعله كأحد أجراك ..هكذا هي التوبة فأنها تفعل أكثر جداً مما كنا نتوقعه أو نعشم فه " اطلبوا الرب ما دام يوجد ادعوه و هو قريب ، ليترك الشرير طريقه و رجل الاثم افكاره و ليتب الى الرب فيرحمه و الى الهنا لانه يكثر الغفران ، لان افكاري ليست افكاركم و لا طرقكم طرقي يقول الرب ، لانه كما علت السماوات عن الارض هكذا علت طرقي عن طرقكم و افكاري عن افكاركم " (اش 55 :6 – 9)

(6) محبة الأب التي لا توصف .

فقال الاب لعبيده اخرجوا الحلة الاولى و البسوه و اجعلوا خاتما في يده و حذاء في رجليه. و قدموا العجل المسمن و اذبحوه فناكل و نفرح. لان ابني هذا كان ميتا فعاش و كان ضالا فوجد فابتداوا يفرحون. (22 ، 23 ، 24)

(فقال الاب لعبيده)

العبيد هنا تشير إلي الخدام ...خدام العهد الجديد ...وكلاء سرائر الله ...الذين يعتمد عليهم الله في سر التوبة الاعتراف وكلمة المصالحة بين الله والخطاة ...لذا إننا نجد أن اعتراف الابن الضال كان أمام الخدام وهذا ما يعنيه سر الاعتراف في كنيستنا القبطية الارثوذكسية فهو اعتراف لله في حضور خدامه أو وكلائه لأنهم هم الذين سوف يقومون بذبح العجل المسمن أي تقديم جسد الرب ودمه لكي يأخذه الخاطئ غفراناً لخطاياه ...

وهذا كما يرى الأب ثيوفلاكتيوس أن هؤلاء العبيد هم الأرواح الخادمة، أو الكهنة الذين يمارسون العماد ويقدَّمون كلمة التعليم لكي تكتسي النفس بالمسيح نفسه.

كما يجب علي الخدام ألا ينسوا وظيفتهم فهم خدام أي عبيد لله ولأبنائه الخطاة فيجب عليه أن لا يتكبروا علي أبناء سيدهم مهما حدث من أحوال ...

(اخرجوا الحلة الاولى و البسوه)

إلي ماذا ترمز الحلة الأولي ؟!

خلع حلة فاخرة علي شخص ما كان في الشرق علامة تقدير مميزة ...

ترمز الحلة الأولي إلي حالة الطهارة والنقاوة التي كان عليها الابن الضال قبل سقوطه وضلاله بل بالأحري ترمز إلي حالة الطهارة والنقاوة الأولي التي كان عليها أبوينا الأولين قبل أن يسقطا ويتوها ...

هذه الحلة التي رمز لها السيد المسيح بثياب العرس التي يجب علي الداخلين إلي العرس السمائي بارتدائها فهو شرط الدخول والوقوف في الحضرة الإلهية...

كان لا يمكن أن يدخل الابن الضال بيت أبيه بدون أن يلبس تلك الحلة كما أن لا يمكنه أن يأكل من العجل المسمن بدون أن يلبس تلك الحلة ...هكذا الكنيسة لا تسمح بالتناول من الأسرار المقدسة إلا بعد أن يعترف الخاطئ لله في حضرة خدامه ويلبسوه تلك الحلة حينما يضعوا أيديهم فوق رأسه مصلين له الحل فيرجع إلي حالة البنوة الأولي مغفورة له خطاياه ...

الحلة هي لبس الملوك فهي دليل العزة والشرف وهذا ما حدث مع مردخاي حيث يقول الكتاب " و خرج مردخاي من امام الملك بلباس ملكي اسمانجوني و ابيض و تاج عظيم من ذهب و حلة من بز و ارجوان و كانت مدينة شوشن متهللة و فرحة (اس 8 : 15)...لذا فالخاطئ الذي يتوب معترفاً بخطاياه يسمع قول يوحنا الرائي في رؤياه " الذي احبنا و قد غسلنا من خطايانا بدمه و جعلنا ملوكا و كهنة لله ابيه له المجد و السلطان الى ابد الابدين امين (رؤ 1 : 5 ، 6)...فالانسان التائب يصبح ملكاً علي ذاته وغرائزه غير مستعبد للشيطان أو لشهواته .

كما أن الحلة لبس المجد كما يقول الحكيم ابن سيراخ " و اعطاه الحلة المقدسة من ذهب و سمنجوني و ارجوان صنعة نساج حاذق صدرة القضاء التي فيها النور و الحق (سيراخ 45 : 12)...

ولم يكتفي الآب بذلك بل أمر أن يلبسوه ليست أي حلة بل الحلة الأولي أي التي تخص الأب نفسه هكذا يعاملنا السيد المسيح عندما نتوب معترفين بخطايانا فأنه يلبسنا ثوب بره فنتطهر ونتقدس فيه ...

والحلة الأولي هي الفضيلة كما يقول القديس يوحنا ذهبي الفم " لا يقصد هنا ثوبًا حقيقيًا بل الفضيلة... الثوب الموشى بالذهب ثوب به في نسيجه مواد متنوعة "

فرق شاسع بين الخرق البالية التي جاء بها ذلك الابن من الكورة البعيدة وبين الحلة الأولي التي اكتسي بها بعد الرجوع ...

وللقديس أغسطينوس رأي في تلك الحلة فنراه يقول "" الحلة الأولى هي الكرامة التي فقدها آدم، وأما العبيد الذي قدَّموها فهم الكارزون بالمصالحة " ..

ويقول الأب ثيؤفلاكتيوس " الحلة هي الكساء الروحي وثوب العرس "

(واجعلوا خاتماً في يديه)

الخاتم علامة المحبة والثقة فهو يرمز إلي رد الخاطئ والضال إلي الحب الأول وإلي الخطبة الأولي لذا نسمع القديس بولس يقول " خطبتكم لرجل واحد لاقدم عذراء عفيفة للمسيح (2كو 11 : 2) ...والسيد الرب يحدث النفس البشرية في سفر هوشع قائلاً " و اخطبك لنفسي الى الابد و اخطبك لنفسي بالعدل و الحق و الاحسان و المراحم (هو 2 : 19) ، " اخطبك لنفسي بالامانة فتعرفين الرب (هو 2 : 20)...

وفي سفر النشيد ما يدلنا علي علاقة الخاتم بالحب حيث تقول العروس " اجعلني كخاتم على قلبك كخاتم على ساعدك لان المحبة قوية كالموت الغيرة قاسية كالهاوية لهيبها لهيب نار لظى الرب (نش 8 : 6)

فكل انسان مؤمن يدخل في علاقة حب مع الله بمثابة خطبة ولكنه بعمل الخطية ينفصل عن هذه العلاقة بإرادته وبالتوبة يمكن أن ترجع علاقة الحب من البداية وهذا ما أراد السيد المسيح تعليمنا إياه من أمر الآب لخدامه بأن يجعلوا خاتماً في يد الابن التائب ..

فالخاتم إذا هو عربون الروح، إذ يقول الرسول بولس: "ولكن الذي يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله، الذي ختمنا أيضًا وأعطى عربون الروح" (2 كو 1: 21–22) هذا هو مهر العرس الذي قدَّمه العريس السماوي لعروسه الكنيسة لكي تحيا به حتى تدخل إلى كمال العرس.

كما أن الخاتم هو علامة الملك والميراث وكأن الأب بجعل الخاتم في يد ابنه بمثابة إرجاع نصيبه في مُلك أبيه وإننا نري قيمة هذا الخاتم فيما فعل فرعون مع يوسف " و خلع فرعون خاتمه من يده و جعله في يد يوسف و البسه ثياب بوص و وضع طوق ذهب في عنقه (تك 41 : 42)..

والخاتم أيضاً ذات أهمية خاصة في العهد القديم فبه كانت تُختم الرسائل والأوراق ويدلنا علي ذلك ما فعلته إيزابل (1مل 21 : 8)...وحدث أيضاً في أيام استير ومردخاي " فاكتبا انتما الى اليهود ما يحسن في اعينكما باسم الملك و اختماه بخاتم الملك لان الكتابة التي تكتب باسم الملك و تختم بخاتمه لا ترد (اس 8 : 8)...وكذلك في أيام دانيال وجب الأسود " و اتي بحجر و وضع على فم الجب و ختمه الملك بخاتمه و خاتم عظمائه لئلا يتغير القصد في دانيال (دا 6 : 17)

جعل الخاتم في يد شخص ما كان بمثابة تقليده تفويضاً كاملاً هكذا كان من أمر يوسف بعد أن ألبسه فرعون خاتمه قائلاً " انا فرعون فبدونك لا يرفع انسان يده و لا رجله في كل ارض مصر (تك 41 : 44)

فالخاتم هنا علامة رجوع سلطان الأب إلي ابنه فأصبح له حق التصرف مثل الأول في أملاك أبيه ... لقد جعل الأب خاتماً في يد ابنه التائب حتي لا ينسي أبداً عظم محبته له وكيف قابله عند رجوعه وكيف لم يعاتبه بل رده إلي رتبته الأولي ...لينا نضع أمام أعيننا دائماً محبة الله لنا فلا ننساها ..نضع أمام أعيننا كم غفر الله لنا فننسحق خجلاً وتواضعاً ونذوب حباً وتفانياً ...

وذلك الخاتم بمثابة رد المسحة المقدسة التي بها خُتم الانسان المؤمن والتي فقد مفعولها بالخطية والضلال ولكنه بالتوبة ترجع إليه تلك المسحة ...فالمعمودية ومسحة الميرون لا يتكررا ولكن يمكننا أن نفقد مفعولهما بالخطية ولكننا بالتوبة نستطيع أن نرجع مفعولهما داخلنا ...فذلك الابن بضلاله وخطيته لم يفقد بنوته لأبيه ولكن فقد مفعول تلك البنوة حتي عندما عاد طالباً أن يكون كأحد الأجراء نراه يخاطب أبيه قائلاً " يا أبي " ...

والخاتم في مضمونه هو دليل السلطة المطلقة لأن الذي يعطي خاتمه لآخر فقد جعل منه وكيلاً مفوضاً .

ويعلق القديس أغسطينوس علي الخاتم قائلاً " الخاتم الذي في اليد هو عربون الروح القدس بسبب شركة النعمة، إذ يُشار إلى الروح حسنًا بالإصبع... "

ويقول القديس امبروسيوس " الخاتم ليس إلا صك الإيمان الصادق وختم الحق "

(و حذاء في رجليه)

الحذاء هنا هو دليل البنوية الكاملة إذ ليس للعبيد أحذية وقتئذ كما أنه دليل علي الحرية المباركة لقد رأي الأب ابنه الذي ضل وعاد راجعاً حافي القدمين منغمساً في الأرضيات والماديات فأمر له بالحذاء لكي يفصله عن تلك الأشياء ...

لقد قال القديس بولس الرسول " و حاذين ارجلكم باستعداد انجيل السلام (اف 6 : 15)...وهذا يشير إلي أن الله عندما يقبل التائبين الحقيقيين ويعطف عليهم فأنه يستخدمهم لاقناع وتوبة غيرهم بتعاليمهم ،أو علي الأقل بقدوتهم وعدم التسبب في عثرة لهم ، فعندما تاب داود فأنه قادر أن يعلم

الأثمة طرق الله (مز 51 : 13) وعندما تاب بطرس أمره السيد المسيح قائلاً " و انت متى رجعت ثبت اخوتك (لو 22 : 32)....

فالحذاء يشير إلي الاستعداد فعلي الإنسان التائب أن يكون مستعداً وساهراً علي أبوابه للسفر والخروج منه هذا الجسد والانطلاق نحو الملكوت الابدي ..

كما يشير الحذاء في الرجلين إلي إمكانات الروح القدس التي يمنحها الله لمن يتوبون توبة حقيقية فيسيرون في طريق التقوي فرحين ، وبعزيمة قلوية ، كمن يلبس حذاء في رجليه أكثر مما يفعل لو كان حافي القدمين ...

الحذاء يشير إلي الطريق الجديد الصالح الذي يعيشه الإنسان التائب حسب الإنجيل " فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح (في 1 : 27)..كما أن الحذاء يشير إلي التدريبات الروحية التي يجب أن يسير عليها الإنسان الذي يرغب في التوبة

ويقول القديس أغسطينوس عن الحذاء ورمزه " الحذاء في القدَّمين هما الاستعداد للبشارة بالإنجيل كي لا نمس الأرضيات "

ويقول القديس امبروسيوس " الحذاء يشير إلى الكرازة بالإنجيل "

(و قدموا العجل المسمن و اذبحوه)

يا للعجب الابن الضال كان يشتهي أن يأكل من الخرنوب طعام الخنازير ولم يتعشم في أفضل من الخبز الذي يأكله الأجير ولكن أبيه قد أمر بأن يذبحوا له العجل المسمن الذي يهتموا به من مدة طويلة لأفضل مناسبة ولم يجد الأب مناسبة أفضل من عودة الابن الضال إلي حضنه ...

يوجد طعام خاص وفاخر يقدمه أبونا السماوي لكل الذين يقومون ويذهبون إليه ...المسيح نفسه الذي قال " أنا هو خبز الحياة ...جسدي مأكل حق ...ودمي مشرب حق "(يو 6)

يا لعظمة التوبة التي تجعل الله يهب للتائب أفضل مواهبه ونعمه ...يُخيل لي أنه ليس أفضل ولا أعظم من جسد الرب ودمه يمكن أن يعطيه الله للشخص التائب ...

علي قدر ما يكره الله الخطية نجده يحب التوبة والانسان التائب كما قال السيد المسيح في نفس الاصحاح " انه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب اكثر من تسعة و تسعين بارا لا يحتاجون الى توبة (لو 15 : 7)...

العجل المسمن دليل علي فرح الأب برجوع ابنه ..حقاً أن توبتنا تُفرح قلب الله ...فهل كثير علي الله الذي يحبنا كل هذا الحب أن نتسبب في فرحه بتوبتنا كما تسببنا في حزنه وآلامه بخطايانا .....

العجل المسمن هذا لم تجد ألمرأة العرافة أفضل منه لتقدمه لشاول الملك عندما تعرفت عليه " و كان للمراة عجل مسمن في البيت فاسرعت و ذبحته (1صم 28 : 24)..

العجل المسمن لا يذبحوه سوي في أكبر مناسبة يمكننها أن تتسبب في أقصي فرح ...وبالمقياس ليس هناك فرح في السماء وعلي الأرض أعظم من فرح التائب الذي يرجع عن خطيته ...

وفي العجل المسمن يتفق الآباء علي أنه رمز حقيقي للسيد المسيح الذبيحة الحقيقية عن مغفرة الخطايا وها بعض من أقوالهم :

"إنه الرب يسوع المسيح الذي دعي هكذا مقدَّما جسده الذي بلا عيب ذبيحة، وسمي "المسمن" بسبب غناه وتكلفته، إذ قادر على خلاص العالم كله "

القدِّيس يوحنا الذهبي الفم

ويقدَّم القدِّيس أغسطينوس ذات التفسير، قائلاً: [قد ذُبح لأجل كل إنسان يؤمن بذبحه[659].]

وجاء تعليق القدِّيس أمبروسيوس هكذا" بالتناول من الأسرار المقدَّسة يستطيع الإنسان أن يتقوت بجسد الرب الدسم بالقوَّة الروحيَّة... هو الذبيحة الكهنوتيَّة التي قدَّمت عن الخطايا "

هذه الأمور الثلاثة (الثوب والخاتم والحذاء) قدَّمها السيِّد المسيح للبشريَّة الخاطئة، ليقيم منها أبناء الله الحيّ، الذين يرتدون ثوب العرس اللائق بالوليمة السماويَّة، ويحملون خاتم البنوة، ويسترون أرجلهم ويحفظونها من أتربة هذا العالم ودنسه أثناء عبورهم خلال كلمة الكرازة.

يمكننا أيضًا أن نقول أن هذه الأمور إنما قدَّمها للبشريَّة الراجعة إليه ليقيمها عرُوسًا وملكة له بعد أن عاشت زمانها كزانية روحيًا تجري وراء عريسٍ آخر. قدَّم لها أولاً الثوب المُوشى بالذهب، كقول المرتل: "قامت الملكة عن يمينك بثوب موشى بالذهب" (مز 45)

ويتأمل القديس أثناسيوس الرسولي في خطوات الأب السابقة قائلاً " هذا هو عمل الحب الأبوي المترفق وصلاحه، أنه ليس قط يقيم الإنسان من الأموات، بل ويعيد إليه نعمته العظيمة خلال الروح؛ وبدل الفساد يلبسه ثوبًا غير فاسد، وبدل الجوع يذبح العجل المسمن، وعوض المسافة الطويلة التي قطعها في رحلته، فإن الآب المنتظر رجوعه إليه يقدَّم حذاء لرجليه. وما هو أعجب من هذا أنه يعطيه خاتم الخطبة الإلهي في إصبعه، وفي هذا كله يجعله في صورة مجد المسيح

(فناكل و نفرح)

هنا الأب يجمع فتوبة الخاطئ ليست هي فرح لقلب الله فقط بل للجميع ...فرح للكنيسة المجاهدة متمثلة في الخدام والكهنة وفرح أيضاً للكنيسة المنتصرة متمثلة في السماء والملائكة " اقول لكم انه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب اكثر من تسعة و تسعين بارا لا يحتاجون الى توبة (لو 15 : 7)

هذه العبارة تعتبر رسالة خاصة لكل لكل مسئول في الكنيسة ولكل الكهنة والخدام بل ولكل إنسان لكي يشترك في الفرح مع الله برجوع أي خاطئ يتوب ويرجع إلي حضن الله وحضن الكنيسة ..

ما أعظم فرح التجمع والانضمام إلي سر الافخارستيا المقدس خلال ليتورجيا القداس الإلهي في كنيستنا الارثوذكسية حيث جسد المسيح ودمه الذي هو كفارة حقيقية للخطايا ...يجب علينا أن نجرب بأنفسنا هذا الفرح الذي يحدث في كل قداس أو نلاحظ ما يحدث ...سوف نري الوجوه بعد التناول مختلفة تماماً تُشرق بالفرح والسعادة ...

سر الفرح الحقيقي فس سر الافخارستيا هو حضور الله معنا ليس لكي يأكل معنا بل لكي نأكله من خلال مادة السر الذي هو الخبز والخمر ...سر الفرح الحقيقي في سر التناول المقدس هو اتحادنا بالسيد المسيح ...

إن فرح أبينا السماوي عندما يري خلاص البشر لذا فنسمعه مرتين خلال معمودية السيد المسيح وعند جبل التجلي يشهد للابن الذبيحة الحقيقية قائلاً " هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت (مت 3 : 17) ،"هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا (مت 17 : 5).. فمن ضمن أسباب مسرة الآب بابنه الوحيد هو عمله الخلاصي علي الصليب الذي به سيخلص البشرية ويرد الضالين والخاطئين وعلي نفس الوزن نري الأب عندما أمر عبيده بذبح العجل المسمن الذي يرمز لذبيحة السيد المسيح علي الصليب اتبعها بقول " فنأكل ونفرح " ...

إن مسرة أبينا السماوي الحقيقية هي في خلاص الخطاة ورجوعهم عن طرق ضلالهم ...فعلي من يريد أن يُفرح قلب أبيه السماوي من الخدام والكهنة عليه أن يسعي ويتعب لكي يرد الخروف الضال " فليعلم ان من رد خاطئا عن ضلال طريقه يخلص نفسا من الموت و يستر كثرة من الخطايا (يع 5 : 20)

وعلي الباقين من غير الخدام إن لم يستطيعوا أن يفرحوا قلب الله برد خروفه الضال فليس أقل من أن يكونوا قدوة حسنة ولا يتسببوا في أي عثرة أمام الخروف في طريق رجوعه إلي أبيه كما أنهم مطالبون بالفرح حال رجوع أولاد الله إلي حضن أبيهم ...

(لان ابني هذا)

أول شئ تعمله التوبة هو اعتراف الله بنا كأبناء وهذا رغم عدم استحقاقنا وعدم تمنينا لأكثر من أن نكون أحد الأجراء ...

ان اعتراف الأب بالأبوة لابنه ليس لأنه تخلي عن هذه الأبوة بسبب عصيان الابن فلا يمكن للأب أن يتخلي عن أبوته لابنه مهما حدث ...ولكن هذا الاعتراف كان لصالح الابن لكي يطمئنه علي قبول رجوعه وتوبته ...كذلك هذا اعتراف بالابوة من الأب إتجاه الخدام الواقفون لكي يعرفوا قيمة التوبة التي تُرجع العصاة إلي رتبتهم الأولي ...

(كان ميتا فعاش)

الحالة الخاطئة حالة موت ..ليس الخاطئ ميتاً فقط بحسب الناموس وأنه تحت حكم الموت ، بل هو ميت بالذنوب والخطايا "و انتم اذ كنتم امواتا بالذنوب و الخطايا ... و نحن اموات بالخطايا احيانا مع المسيح (اف 2 : 1 ، 5) ...لذلك نجد القديس بولس ينادي الخطاة قائلاً لكل واحد فيهم " استيقظ ايها النائم و قم من الاموات فيضيء لك المسيح (اف 5 : 14) وفي رسالة كولوسي نجد القديس بولس الرسول يقول " و اذ كنتم امواتا في الخطايا و غلف جسدكم احياكم معه مسامحا لكم بجميع الخطايا " (كو 2 : 13)...

فالخاطئ إنسانا خال من الحياة الروحية . لا اتصال بالمسيح ،ولا تمرين للحواس الروحية ، بعيداً عن خبز الحياة ، لا حياة مع الله ، ولذلك فهو ميت . هكذا كان الابن الضال في الكورة البعيدة ميتاً عن أبيه وعن أسرته ، مقطوع الصلة بهم ، كقطع العضو من الجسد ، أو الغصن من الشجرة ..ولذلك فقد كان ميتاً ...

(و كان ضالا فوجد)

أن النفوس المنفصلة عن الله هي نفوس ضالة ، كما يضل السائح الطريق فهي لا تعرف أين هي ؟ ولا إلي إين هي ذاهبة ؟ ولا تعلم حتي كيف ترجع ؟

تلك النفوس الضالة هي مثل إنسان تائه في صحراء شاسعة تقابلها رياح عاصفة أو كأنها في بحر أو محيط واسع تتلقفها الأمواج من جهة لجهة ولولا مراحم الله الصادقة لكان من المستحيل أن يرجع الانسان عن طريق ضلاله ...فالانسان الضال لا يستطيع أن يوجد نفسه لولا عناية الله به وسعيه وراءه ومحبته له ...لولا صوت الله داخل الانسان بفعل الروح الخاطئ لما كان يفكر الانسان في الرجوع عن طريق ضلاله ..

هكذا كان حال الابن الضال ...فقد تاه في تلك الكورة البعيدة ...تاه عن أبيه وبيته ...ولولا مراحم الله في حدوث المجاعة وفي صوت ضميره لما فكر في الرجوع عن ضلاله ...

من وقت ما ترك الإنسان الله مخدوعاً من إبليس بالظن أنه يقرد أن يجد لذة لنفسه في حالة المعصية والابتعاد عن مصدر الفرح والسرور لم يزل تائهاً كما في ورطة .

نلاحظ في موقف الآب من ابنه التائب – رغم كل ماحدث – أنه كان يتوقع رجوع ابنه بل ينتظره بلهفة وشوق لذلك رآه من بعيد ، وغفر له عندما رجع ولم يعامله كعمله ...ليتنا نتعلم نحن من هذا المثل التسامح فلا نقابل مساوئ الغير بأخري أشد منها وأدهي وأشر

جحود الابن الاكبر .

و كان ابنه الاكبر في الحقل فلما جاء و قرب من البيت سمع صوت الات طرب و رقصا. فدعا واحدا من الغلمان و ساله ما عسى ان يكون هذا فقال له اخوك جاء فذبح ابوك العجل المسمن لانه قبله سالما . فغضب و لم يرد ان يدخل فخرج ابوه يطلب اليه. فاجاب و قال لابيه ها انا اخدمك سنين هذا عددها و قط لم اتجاوز وصيتك و جديا لم تعطني قط لافرح مع اصدقائي . و لكن لما جاء ابنك هذا الذي اكل معيشتك مع الزواني ذبحت له العجل المسمن .(ع 25 – 30)

(و كان ابنه الاكبر في الحقل)

الحقل هنا يرمز إلي المشغولية في الخدمة ولو في حقل الآب ، فالابن الأكبر كان منشغلاً في الحقل بعيداً عن قلب أبيه ، يوجد خدام كثيرين يتعبون ويشتغلون داخل الكنيسة ولكن قلبهم بعيد تماماً عن الله ...الابن الأكبر من الواضح أنه يتعب بدون حب مثل كثيرين الذين يعتبرون الخدمة في الكنيسة مسئولية عليهم أو روتين أو عادة يمارسونها بعيداً عن روح الحب في الخدمة ..بعيداً عن محبة الله فهم لا يمارسون الصلاة أو التقرب إلي الأسرار الإلهية ...فمن الواضح أن الابن الأكبر هذا نادراً ما كان يجلس مع أبيه جلسات محبة بعيداً عن الحقل ...

الحقل أيضاً يمثل الإنشغال في الأمور المادية مثل أولئك الذي اعتذروا عن عشاء عُرس ابن الملك لأنهم قد اشتروا حقلاً جديداً ، فالمشغوليات الكثيرة غالباً ما تُبعد أصحابها عن الله ...تسأل كثير من الناس لماذا لا يأتون إلي الكنيسة ولماذا لا يصلون ويقرأون الكتاب ؟! يجيبون محتجين بالمشغولية ..بمسئوليات الحياة ويتناسون قول السيد المسيح " ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله و خسر نفسه (مت 16 : 26)

ويوافقنا القديس امبروسيوس في كلامه عن الحقل حيث نجده يقول " دين الابن الأكبر، لأنه جاء من الحقل. هنا الحقل يشير إلى الاهتمام بأعمال الأرض والجهل بأعمال روح الله"

(فلما جاء و قرب من البيت)

الذين ينشغلون في حقل الخدمة يكونون قريبين من البيت ولكنهم لا يدخلون ..نعم هم في الكنيسة ولكنهم بعيدين عن الله كما استشهد السيد المسيح بقول إشعياء النبي " يقترب الي هذا الشعب بفمه و يكرمني بشفتيه و اما قلبه فمبتعد عني بعيدا (مت 15 : 8).. الله لا يريد منا جسداً يخدمه بل قلباً يحبه ويُترجم هذا الحب بالعمل من أجله فقد قال السيد المسيح للمرأة السامرية " الله روح و الذين يسجدون له فبالروح و الحق ينبغي ان يسجدوا (يو 4 : 24)

(سمع صوت الات طرب و رقصا)

آلات الطرب والرقص كناية عن الفرح العظيم ...فرح الأب وفرح الخدام وفرح الجيران وفرح كل البلدة وهذا يعكس فرح السماء والملائكة والخدام بل فرح الله نفسه برجوع الخاطئ إلي بيته الذي هو الكنيسة ...

(فدعا واحدا من الغلمان و ساله ما عسى ان يكون هذا)

(فقال له اخوك جاء فذبح ابوك العجل المسمن لانه قبله سالما)

(فغضب و لم يرد ان يدخل)

يمكننا أن نوجز الخطايا التي وقع فيها الابن الأكبر مع توضيح التشابه بينه وبين الكتبة والفريسيين في الآتي :

(1) الغضب : وهذا يوضح تماماً موقف الكتبة والفريسيين من السيد المسيح بسبب قبوله للعشارين والخطاة وأكله معهم وهذا ما حدث تماماً من الابن الأكبر فقد غضب لأن أبيه قبل إليه ابنه الذي ضل ولم يأكل معه فقط بل ذبح له العجل المسمن .

(2) الشعور بالبر الذاتي : ويظهر ذلك من قوله " وقط لم أتجاوز وصيتك " وهذا يتشابه تماماً مع ما قاله الكتبة والفريسيين للسيد المسيح " اننا ذرية ابراهيم و لم نستعبد لاحد قط كيف تقول انت انكم تصيرون احرارا " (يو 8 : 33)..

(3) الأنانية : ويظهر ذلك من قول الابن الأكبر " وجدياً لم تعطني لأفرح " ..فهذا هو ما يهمه وهو الفرح الخاص به وليس لديه اهتمام بفرح أبيه وبيته برجوع أخيه إلي حضن أبيه ...وهذا يتشابه مع اليهود الذي فضلوا بقاء مملكتهم علي تخليص المسيح للعالم والخطاة ..ويظهر ذلك من قول مجمع اليهود عن السيد المسيح" ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به فياتي الرومانيون و ياخذون موضعنا و امتنا (يو 11 : 48)

(4) الجحود : الابن الأكبر كان جاحداً لأبيه ولأخيه فهو قد أنكر أخوة أخيه عندما قال " ابنك هذا .." كذلك كان جاحداً لأفضال أبيه عليه واتهمه بالبخل معه ...هكذا الفريسين والكتبة من اليهود كانوا جاحدين لما فعله المسيح معهم وبدلاً أن يشكروه تآمروا علي صلبه واعترضوا علي محبته للخطاة والعشارين .

(5) الإدانة : قد دان الابن الأكبلر أخيه عندما قال عنه لأبيه " الذ أكل معيشتك مع الزواني .." ...وهذا ما قاله السيد المسيح عن الكتبة والفريسيين " انتم حسب الجسد تدينون اما انا فلست ادين احدا (يو 8 : 15)

(6) الحقد : لقد حقد الابن الأكبر علي أخيه عندما رأي الفرح والرقص والطرب ...عندما سمع عن العجل المسمن الذي ذُبح له والحلة الأولي وكان عليه أن يفرح مثل أبيه لأنه قبل أخاه سالماً .

(7) المادية : كل ما كان يهم الابن الأكبر هو الجدي والفرح المادي مع أصدقائه بعيداً عن أي عاطفة للحب يواء إتجاه أبيه أو أخيه ...هكذا اليهود سواء الكتبة والفريسيين كل همهم كان في الملك المادي علي الأرض بعيداً عن ملك الله في القلب ومحبته ومحبته أخوتهم في الإنسانية سواء الأمم أو العشارين أو الخطاة ..

(8) الرياء : الابن الأكبر حسب مظهره وكلامه استطاع أن يخدع نفسه والآخرين أنه صالح وأفضل من الآخرين ...هكذا حذر السيد المسيح تلاميذه من خمير الفريسيين الذي هو رياؤهم (لو 12 : 1)

إحزان الآخرين : لقد تسبب الأخ الأكبر في إحزان أبيه أولاً بسبب عدم دخوله البيت وعدم قبوله لأخيه ومعاتبته القاسية له ...هكذا كُتب عن السيد المسيح أنه حزن بسبب قساوة قلب رؤساء الكهنة " فنظر حوله اليهم بغضب حزينا على غلاظة قلوبهم (مر 3 : 5)

(10) الإساءة إلي نفسه : بينما عاد الابن الأصغر إلي بيت أبيه بقي الابن الأكبر خارجه وهذا ما فعله اليهود حيث أنذرهم السيد المسيح " كثيرين سياتون من المشارق و المغارب و يتكئون مع ابراهيم و اسحق و يعقوب في ملكوت السماوات ، و اما بنو الملكوت فيطرحون الى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء و صرير الاسنان.(مت 8 : 11 ،12)

(فخرج ابوه يطلب اليه)

(فاجاب و قال لابيه ها انا اخدمك سنين هذا عددها)

صاحب البر الذاتيدائماً يفتكر في عمله لله لا في عمل الله لأجله

علاقة الابن بأبيه يجب أن تقوم علي أساس الحب وليس كما كان يفهمها الابن الأكبر علي أساس العبودية " ها أنا أخدمك " ...هكذا الله يطلب منا الحب وليس العبودية ...يطلب منامحبته ..محبة أبنائه أي أخوتنا حتي الخطاة الضالين

الابن الأكبر يتكلم بلغة الخدمة والعبودية والطاعة والعدل ، لغة الفريسيين ، وأما الآب فيتكلم بلغة المحبة والرحمة ...فهذا الذي تكلم به الابن الأكبر لم يكن خطئاً في حد ذاته ولكن إن خلا ذلك كله من المحبة فقد صار مثل نحاساً يطن أو صنجاً يرن ولن ينتفع منه الإنسان شيئاً " 1 كو 13)

(و قط لم اتجاوز وصيتك)

هذا هو البر الذاتي أو الكبرياء فحقاً قال الكتاب " قبل الكسر الكبرياء و قبل السقوط تشامخ الروح (ام 16 : 18) ، هذه العبارة كما قالها الفريسي في الهيكل وكما قارن نفسه بالعشار عندما قال " اللهم انا اشكرك اني لست مثل باقي الناس الخاطفين الظالمين الزناة و لا مثل هذا العشار (لو 18 : 11)..فنري أن العشار باتضاعه وانسحاقه واعترافه قد خرج مبراً دون ذاك الفريسي بكبرياءه واعتزازه وافتخاره علي الآخرين .

(و جديا لم تعطني قط لافرح مع اصدقائي)

مساكين الذين يطلبون المكافآت الأرضية المادية جزاء لبرهم أو لخدمتهم في حقل الله فأنه يفضل الأشيار الأرضية علي السماوية ، ولو أن أحب إليه أن يأكل جدياً مع أصدقاؤه من أن يأكل العجل المسمن في بيت أبيه

من الواضح أن اهتمامات الابن الأكبر كان تنصب خارج بيت أبيه إما في الحقل أو مع أصدقاءه ، وكثيراً ما يكون الأصدقاء هم العلة والسبب في ضياعنا مثلما يقول الكتاب " المعاشرات الردية تفسد الاخلاق الجيدة (1كو 15 : 33)...الأصدقاء غالباً ما يُضيعون علينا الوقت الذي يمكن أن نقضيه مع أبينا السماوي أو في خدمة مفيدة داخل بيت أبينا السماوي الذي هو الكنيسة ...

وهذا المثل يعلم الآباء أن يتعاملوا بحكمة من جهة أبنائهم فلا يغدقوا عليهم المال بإسراف زائد لكي لا يكون سبباً في إنحرافهم ...

الابن الأكبر مثل كثير من الناس الذين يفهمون الفرح بطريقة خاطئة ..فالفرح عندهم هو الفرح المادي بالجدي أو الفرح مع الأصدقاء بعيداً عن الله ويجب علي هؤلاء أن يُراجعو أنفسهم في ضوء قول سليمان الحكيم في سفر الجامعة " باطل الاباطيل قال الجامعة الكل باطل (جا 12 : 8)

الفرح الحقيقي الذي يجب علي كل إنسان أن يسعي إليه هو الفرح بالمكوث في بيت الآب والتحدث إليه من خلال الصلاة وسماعه من خلال كتابه المقدس والجلوس علي مائدته والتناول من المائدة المقدسة أي جسد الرب ودمه الكريمين ..الفرح الحقيقي ينتج من علاقة الحب بين الانسان وبين الله

(و لكن لما جاء ابنك هذا)

من كثرة احتقار الابن الأكبر لأخيه الذليل لم يشأ أن يقر بنسبته الطبيعية له مثل الفريسيين الذين احتقروا العشارين والخطاة مع أنهم كانوا من جنسهم واحتقر أباه أيضاً إذ نسب أخيه إليه

(الذي اكل معيشتك مع الزواني)

(ذبحت له العجل المسمن)

الابن الأكبر يرمز لأمة اليهود الشعب الحسود الذي حسد الأمم لما رجعوا ولم ينظر إلي البركات الكثيرة التي نالها ولم يقدرها " الى خاصته جاء و خاصته لم تقبله (يو 1 : 11) . أما الابن الأصغر فيشير إلي جماعة الأمم غير اليهود . الذين كانوا بعيدين عن رعوية الله وعن شركة النعمة ، ومع ذلك فقد قربهم الله إليه .وأدخلهم بيته وجعلهم أبناؤه " و اما كل الذين قبلوه فاعطاهم سلطانا ان يصيروا اولاد الله اي المؤمنون باسمه (يو 1 : 12)

إتساع قلب الأب للجميع .

فقال له يا بني انت معي في كل حين و كل ما لي فهو لك . و لكن كان ينبغي ان نفرح و نسر لان اخاك هذا كان ميتا فعاش و كان ضالا فوجد . (ع 31 ، 32)

(فقال له يا بني)

نري هنا محبة الله للجميع ويتمثل ذلك في معاملة الأب مع ابنه الأكبر فهو كما جاء إليه الابن الأصغر نادماً فقبله هكذا كان محباً لابنه الأكبر الذي جاء إليه معاتباً وغتضباً ولم يرد أن يدخل ...فذهب هو إليه يرجوه في محبة محتملاً أقواله غير اللائقة دون وبيخ متغاضياً عن كبريائه داعياً إياه " يا بني " ..هكذا نري الله يسكب حنانه علي الجميع ويغدق رحمته علي كافة المسكونه ، فرحاً بكل من يقبل إليه ...

رموز المثل

1. **الأب .**
2. **الابن الأصغر .**
3. **المال (القسم من المال).**
4. **الكورة البعيدة .**
5. **الجوع الشديد .**
6. **صاحب الخنازير .**
7. **الخنازير .**
8. **الخرنوب .**
9. **بيت الآب .**
10. **الخدام (الأجراء)**
11. **الحلة الأولي .**

(12) الخاتم .

(13) الحذاء .

(14) العجل المسمن .

(15) الأخ الأكبر .